# صلاح الدين ومعركة حطين

د. محمد أمين سليم

كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

## المقدمة..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن لبيت المقدس أثره العميق الشائق في نفس كل مسلم في بقاع الأرض، لاحتوائه على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث من تشد إليه الرحال، ومسرى نبينا محمد ﷺ ومنه عرج إلى السماء.

تاريخ فلسطين وبيت المقدس ذو أهمية بالغة، تشد القارئ إلى التعرف عليه لكونه ثالث من لا تشد الرحال إلا إليها، ونحن نعيش في مأزق عدم الاستطاعة لشد الرحال إليه؛ لأنه محتل من قبل أرجس عباد الله اليهود، وكونه من الناحية التأريخية مجال صراع بين القوى منذ العصور الوسطى، لما يحتله من مكانة مقدسة في نفوس البشر المتدينين على اختلاف دياناتهم السماوية.

إذ المعروف أن المسلمين الأوائل فتحوا بيت المقدس وطهروا المسجد الأقصى من براثن الروم أبان حركة الجهاد الإسلامي الأولى في السنة الخامسة عشر للهجرة. وظل في أيديهم مدة طويلة من الزمن، إلى أن استغل الصليبيون فترة الانقسام التي حلت بالعالم الإسلامي في العصور الوسطى، وفرضوا سيطرتهم عليه. وبعد فترة وجيزة عادت للإسلام صحوته وأعيدت فكرة إحياء حركة الجهاد الإسلامي، فتمكن المسلمون من استعادته من الصليبيين. وهذا الموضوع من الأهمية بمكان، خاصة فيما يتعلق بفكرة إحياء حركة الجهاد الإسلامي، التي استدعى الأمر إلى إحيائها في نفوس المسلمين لاستعادة بيت المقدس من أيدي أعداء الإسلام.

ويحتوي البحث على توطئة وستة مباحث رئيسة وخاتمة وكما موضح في فهرست المحتويات، وسميت بحثي هذا بـ(صلاح الدين ومعركة حطين)، وإن الأصل لموضوع البحث هو الناصر صلاح الدين وفتح القدس الشريف بما فيه المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة؛ لأن معركة حطين بقيادة البطل صلاح الدين كانت هي الحد الفاصل والانتصار الرئيس للمسلمين على الصليبيين المعتدين المحتلين وبعدها حرر القدس الشريف، أو بتعبيرٍ آخر ان الانتصار الأكبر في حطين هو البشارة الكبرى لفتح بيت

المقدس، كما حدث للنبي الأكرم محمد ﷺ لفتح مكة المكرمة، حيث ان البشارة الكبرى للفتح حصلت في صلح الحديبية، وسورة الفتح أنزلت كاملة في صلح الحديبية الذي هو قبل فتح مكة المكرمة كما هو معلوم.

**والحمد لله رب العالمين.**

## توطئة
## ضعف العالم الإسلامي أمام الهجمات الصليبية

في الوقت الذي كانت المجتمعات الإسلامية تعاني من الفساد والضعف في ميادين الحياة المختلفة، وبينما الرؤساء على حالهم من التفكك والصراع، إذ دخل الصليبيون فأطاحوا بملك السلاجقة في آسيا الصغرى واستولوا على عاصمتهم نيقيه، ثم إلى بلاد الشام وهددوا الأخوين من حكام السلاجقة (رضوان في حلب ودقاق في دمشق) تهديداً شديداً حتى اضطر الاثنان إلى الدخول في طاعة الصليبيين وأدوا لهم الجزية، وقد رضيا الاثنان بهذا الهوان والذل مفضلين ذلك على الاتحاد بينهما لمواجهة الصليبيين ورعاية حرمة الوطن الإسلامي[1].

ثم أزداد هجوم الصليبيين وسيطروا على أرض واسعة فاستولوا عام (٤٩١هـ/١٠٩٧م)، على إنطاكية، ومضوا في زحفهم حتى بيت المقدس الذي سقط في أيديهم عام (٤٩٢هـ/١٠٩٨م)[2]، الذي كان بيد الفاطميين في مصر، وفي كل مدينة أو قرية دخلوها اقترفوا المذابح الوحشية واعملوا السيف في السكان من النساء والأطفال والشيوخ، وخاضت خيولهم بدماء المسلمين إنا لله وإنا إليه راجعون، يصدق فيهم قول الشاعر:

**احل الكفر بالإسلام ضيماً ... يطول عليه للدين النحيبُ**
**فحق ضائع وحمى مباحٌ ... وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صبيبُ**
**وكم من مسلم أمسى سليباً ... ومسلمة لها حرم سليبُ**
**أمورٌ لو تأملهن طفلٌ ... لطفّل في عوارضه المشيبُ**
**أتسبى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلمين إذاً يطيبُ**

**فقل لـــذوي البصـــائر حيـــث كـــانوا أجيبـــــوا الله ويحكـــــم أجيبـــــوا**

حدث كل هذا وحكام المسلمين لم يحركوا ساكناً، وكانوا لاهين فـــي منازعـــاتهم وخصوماتهم والأمة مشغولة بشؤونها الصغيرة وقضاياها التافهـــة يتنافســـون فـــي ذلـــك ويتقاتلون.

وتقدم لنا المصادر الإسلامية صوراً عن تقاعس الخلفاء والسلاطين أمام الفضائح التي ارتكبها غزاة الصليبيين في القدس وسواحل سوريا ولبنان، فلقد جمع أحـــد الوفـــود المستنجدة كيساً كبيراً مليئاً بقحف الجماجم وشعور النساء والأطفال ونثروها بـــين أيـــدي المسؤولين فكان جواب الخليفة لوزيره: «دعني في شيء أهم من هذا! حمامتي البلقاء منذ ثلاث ليال لم أرها!».

«ظننت أن الخليفة قد سمع بهذا الخبر قبل ثلاثة أيام وتحركـــت عنـــده الغيـــرة العربية الإسلامية لإنقاذ القدس الشريف والديار الشامية من قبائح الصليبيين، وأخـــذ تـــوا يبحث عن فرسه البلقاء، ظننت ان له فرس بلقاء يجاهد عليها في سبيل الله، كفرس سيدنا سعد بن أبي وقاص عندما قال قولته المشهورة: (الكرُ كرُ البلقاء والضربُ ضـــرب أبـــي محجن).

وكذلك تقدم لنا المصادر الإسلامية المعاصرة لتلك المرحلـــة صـــوراً مفصـــلة مرعبة حول مواقف الحاكمين وجماعات المسلمين وإيثارهم بـــأمورهم الخاصـــة علـــى مواجهة الخطر الداهم فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزي البغدادي في تاريخه المنتظم وابـــن الأثير وغيرهما، حيث احتل الصليبيون الرها والقدس وعسقلان وفتكوا بأهلها، وقتلوا في ساحات الأقصى نحو ٧٠ ألف من المجاورين والعلماء والطلاب والعباد والزهاد[٣]. فعلى أثر هذه المذابح والمآسي راح أهل الشام يستغيثون بالخلافة العباسية وأهالي الشرق.

ويصف ابن الأثير وابن كثير ذهاب الوفود والطريقة التي قوبل بها، والنتيجـــة التي انتهى إليها فيقولان: «ذهب الناس على وجوههم هاربين من الشـــام إلـــى العـــراق، مستغيثين على الإفرنج إلى الخليفة والسلطان ومنهم وفد بصحبة القاضي أبو سعد الهروي فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا. وقد نظم أبو ســـعد الهـــروي كلاماً قرئ في الديوان وعلى المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الفقهاء الناس إلى الخروج

وحرضوا الملوك على الجهاد. فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد شيئاً»[٤].

## المبحث الأول
## صلاح الدين الأيوبي

**اسمه، مولده، نسبه، موطنه:**

هو صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ينتهي نسبه إلى قبيلة كردية من شمال العراق وقال صاحب النجوم الزاهرة هناك من يقول انه من أصل عربي اموي ينتهي نسبه إلى احد خلفاء بني أمية، ولقد عقب الداعية الإسلامي عبدالله ناصح علوان على هذا وقال هناك من يريد ليجعل صلاح الدين من أصل عربي وهذا ليس من الأهمية بمكان، فان صلاح الدين مهما يكن نسبه، فالفخر ليس بنسبه وإنما بما يحمله وتقواه[٥].

فكثير من غير العرب كانوا من خيرة قادة الإسلام من الصحابة كان هناك سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وكذلك على مر التاريخ فهناك من السلاجقة كان السلطان ألب ارسلان ومن الغزنويين محمود الغزنوي ومن الزنكيين عماد الدين زنكي وابنه الملك الشهيد نور الدين محمود زنكي «الذي لقب بسادس الخلفاء الراشدين الذي خلف صلاح الدين الأيوبي هذا».

ومن بعده من المماليك قطز محمود بن ممدود قائد معركة عين جالوت وكانت هذه المعركة يوماً من أيام الله حيث انتصر فيه المسلمون على التتر في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ، بعد سقوط بغداد بسنتين.

ومن قبله يوسف بن تاشفين البربري محرر الاندلس وقائد معركة الزلاقة في يوم الجمعة ١٢ رجب سنة (٤٧٩هـ)، وكان أيضاً يوماً من ايام الله ومن بعدهم السلاطين الاتراك في الدولة العثمانية.

فهذا السلطان سليمان القانوني فاتح نصف أوربا وقائد معركة موهاجس.

ومن قبله محمد الفاتح بشارة النبي محمد ﷺ فاتح القسطنطينية. وغيرهم كثير.

**مولده:**

ولد صلاح الدين في قلعة تكريت من الديار العراقية سنة (٥٣٢هـ/١١٣٨م).

وكان والده نجم الدين أيوب والياً عليها من قبل العباسيين في بغداد وحصل خلاف بين القادة وأسد الدين شيركو أخو نجم الدين أيوب حيث احد القادة اعتدى على شرف أحد النساء في تكريت فاستنجدت الأخيرة بأسد الدين شيركو فقام أسد الدين شيركو صاحب النخوة فقتل القائد.

مما ادى الأمر إلى خروج العائلة الأيوبية بأكملها من تكريت واتجهت نحو الموصل.

وفي الليلة نفسها وُلِدَ صلاح الدين يوسف مما أدى إلى تشاؤم أبيه به وهم بقتله لولا تذكرة الناصحين له بان هذا من التشائم والطيرة وهذا منهي عنه في الإسلام فتراجع وعقل.

وهناك رواية نسيت ان اوثق مصدرها في البطاقة تقول: بان أم صلاح الدين يوسف عندما وضعته رأت فيه رؤيا في المنام بانه هذا المولود سيحرر الله جلَّ في علاه القدس الشريف على يديه. على كل حال وصلت العائلة الأيوبية إلى الموصل وكانت الموصل يؤمئذ بيد الزنكيين عماد الدين زنكي.

وحيث كانت هناك يدٌ للأيوبيين على الزنكيين عندما وقع خلاف بين بغداد والموصل وكانت الواقعة في تكريت ساعد الأيوبيون الزنكيين فأرادوا أن يردوا ذلك الدَيْن لذلك رحبوا بهم.

وانتهى المطاف بتوليه نجم الدين على بعلبك من قبل نور الدين زنكي. وتلقى بها الطفل صلاح الدين يوسف ما يتلقى الطفل من العلوم الإسلامية فدرس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والتاريخ واللغة والأدب فضلاً عن لعب الكرة والفروسية والصيد وغيرها مما يتاح لأبناء الطبقات الحاكمة[٦].

ثم لحق الشاب صلاح الدين بعمه أسد الدين شيركو في حلب حيث كان شيركو بخدمة نور الدين محمود زنكي وحصل على اقطاع بها ثم خلف صلاح الدين يوسف أخاه الأكبر توران شاه بعد مقتله، في شحنكية دمشق في سنة ٥٥٠هـ/١١٥٦م، بعد أن أصبحت دمشق من ممتلكات نور الدين محمود. وابدى صلاح الدين يوسف في هذا

المنصب قدرة كبيرة ومهارة فائقة، غير انه لم يلبث ان دب خلاف بينه وبين صاحب الديوان أدى إلى تخليه عن ذلك المنصب(٧).

ورجع صلاح الدين يوسف مرة أخرى إلى حلب وهناك شمله نور الدين محمود بعنايته، لما بدا فيه من إمارات السعادة ولاح عليه من علامات التقدم والسيادة.

وظل نور الدين محمود يقربه إليه ويخصه وهو (كلما تقدم قدماً تبدو منه أسباب اقتضى تقدمه)، حسب تعبير ابن شداد، حتى التحق بعمه أسد الدين شيركو الدخول إلى مصر فاصطحبه معه لتبدأ تلك المرحلة المهمة من حياة صلاح الدين(٨).

**مرحلة تبوء المناصب:**

اتفق لأسد الدين شيركو الدخول إلى مصر وذلك بعد ان استنجد شاور الوزير الفاطمي المخلوع بنور الدين محمود الذي رأى في ذلك أول توطئه لدخول قواته الديار المصرية ولعلها الخطوة الأولى بتوحيد وضم الديار المصرية مع الديار الشامية وبذلك توحيد الجبهة الإسلامية لتحرير القدس الشريف واتفق لأسد الدين شيركو ثلاث رحلات وانتهت بتوليه أسد الدين شركوه الوزارة الفاطمية في الديار المصرية بعد قتل شاور الخائن من قبل صلاح الدين يوسف وكان صلاح الدين مصاحباً لعمه أسد الدين شركوه في كل الحملات، وكان صلاح الدين مكره للخروج مع عمه اسد الدين ولكن كما قال الله جل وعلا ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] حيث لم ينعم أسد الدين شركوه رحمه الله بالحياة الطويلة في وزارة مصر إذ توفي في ٢٢ جمادي سنة (٥٦٤هـ/٢٣ مارس ١١٦٩م)، وذلك بعد شهرين وخمسة أيام من توليه الوزارة الفاطمية.

وولى الخليفة العاضد بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف، وذكر أبو شامه انه عندما توفي أسد الدين شيركو وقع اختلاف بين العسكر الشامي فيمن يتولى الوزارة، وأشاروا إلى صلاح الدين وأرسل العاضد وسأل عمن يصلح للوزارة فاشار عليه جماعة من الأمراء بشهاب الدين محمود المحارمي خال صلاح الدين فاستدعاه، وخاطبه في تولي الوزارة، فامتنع من ذلك وأشار بولاية ابن اخته صلاح الدين. وكان المحارمي أولاً قد رغب في الوزارة وتحدث فيها، فلما رأى مزاحمة بعض كبار الأمراء له، خاف ان يشتغل

بطلبها فتفوته، وربما فاتت صلاح الدين، فأشار به لأنها إذا كانت في ابن أخته كانت في بيته.

وقد وجد ذلك قبولاً لدى العاضد لأن صلاح الدين لم تكن له بطانة بمصر وكان صغير السن حيث لم يتجاوز عمره إذ ذاك (٣٢) سنة، ظناً من الخليفة العاضد انه بذلك يستطيع التحكم في الامور على هواه، وإيقاع الفتنة بين الأمراء النورين الكبار أمثال المنطوي والمحارمي وغيرهما[٩].

وهنا ما حصل فعلاً، فقد رفض بعض الأمراء تولي صلاح الدين الوزارة لولا ذلك المجهود المثمر الذي بذله السيد الفقيه عيسى الهكاري[١٠]. في إقناعهم بذلك، حيث استجابوا ما عدا عين الدولة باروق الذي عاد إلى الشام غاضباً[١١].

لكن صلاح الدين يوسف لم يكد يتولى الوزارة، حتى استمال قلوب الناس بالغاء المكوس، وبذل الاموال والهبات والحكم لهم، فأحبوه حباً شديداً وساسهم سياسة حسنة[١٢]، ولعل مما زاد الناس حباً له وتعلقاً به، تمكنه من صد تلك الغارة التي شنها الصليبيون على دمياط في صفر من سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، وردهم خائبني عنها[١٣]، فضلاً عما قام به من تأسيس المدارس وتحصين المدن والموانئ والثغور المصرية، وبناء القلعة على طرف المقطم، حيث استطاع أن يمكن لنفسه في الوزارة، وبعد ذلك بدأ صفحة جديدة في تاريخ الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، انتهت بالانتصار عليهم واستعادة بيت المقدس وكما نرى قادماً.

ولكن يبدو ان الخليفة العاضد لم يكن وحده المستاء من مكانة ونفوذ صلاح الدين وبالتالي نور الدين في مصر، بل ان ذلك امتد إلى نفوس عامة الناس حيث قام الطواشي مؤتمن الخلافة[١٤] أحد رجال القصر الفاطمي بالاتصال بالصليبيين وتحريضهم على مهاجمة مصر، حتى يضطر صلاح الدين يوسف إلى الخروج من القاهرة لصد غارتهم، فيتمكن هو من القضاء على البقية الباقية من رجال صلاح الدين بالداخل، الا ان صلاح الدين كان يدرك استياء بعض الفاطميين من سياسته تلك، قد جعل بمصر عيون لمراقبة كل التحركات فاكتشف رجاله حامل رسالة الطواشي مؤتمن الخلافة وهو بطريقه إلى الصليبيين.

فأسرع بقتل الطواشي وذلك سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م، وآثار مقتله غضب أتباعه من السودان، فقرروا الخروج على صلاح الدين الذي ما ان علم بهم حتى جمع اصحابه واستعد لذلك، فوصل السودان إلى القاهرة ووقعت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار صلاح الدين وتجلت فيها مقدرته الحربية حتى اضطر السودان إلى طلب الامان، فأجابهم إلى ذلك.

وفي الوقت الذي شدد نور الدين محمود هجماته على الصليبيين بالشام، واستولى على الموصل سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، كانت هناك مشكلة تقلق باله. تلك هي الخلافة الفاطمية في مصر ونور الدين يريد تبعية الدار المصرية مثل تبعية الديار الشامية إلى الخلافة العباسية في بغداد اما صلاح الدين فلم يكن اقل تحمساً لهذا.

فأخذ يعمل لهذا تمهيداً لإعلان الخلافة العباسية في مصر، فبدأ بعزل القضاة وعين مكانهم قضاة شافعية[١٥]، كما أنشأ مدارس للشافعية وأخرى مالكية ووقف عليها أوقافاً وكذلك قام صلاح الدين بإضعاف مركز الخليفة العاضد وتقوية مركزه في مصر، ولم يبق للعاضد معه الا الاسم فقط[١٦].

ومع ذلك ظل صلاح الدين متخوفاً على إسقاط الخلافة في مصر، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ان صلاح الدين نفسه حرص على إبقاء الخلافة في صورتها الشاكية بعدما أحسَ بتغير شعور نور الدين نحوه وتخوفه منه فأبقاها ليلوذ بها عند الحاجة[١٧]، وأخيرا لم ير صلاح الدين بداً من تنفيذ أوامر سيده نور الدين بإعلان الخلافة العباسية في مصر بعد أن استشار أصحابه وبعض الفقهاء وعلى رأسهم القاضي الفاضل، فأمر الخطباء بالدعاء للخليفة العباسي المستضيء على المنابر في أول جمعة من المحرم لبدأ السنة الهجرية الجديدة من عام ٥٦٧هـ/سبتمبر ١١٧١م، أما الخليفة العاضد فيقال انه مرض مرضاً شديداً، ولم يخبره أحد بما فعل صلاح الدين وقالوا «ان عوفي فهو يعلم، وان توفي فلا ينبغي ان نفجعه بمثل هذا قبل موته»، فمات يوم عاشوراء دون ان يعلم[١٨].

وبذلك أرسل نور الدين رسلاً إلى الخليفة العباسي يبشرونه بذلك، فرد الخليفة المستضيء بإرسال الخلع والتشريفات له ولصلاح الدين ومعهم الأعلام والرايات السود شعار بني العباس[١٩].

ولم يؤدِ إعلان الخلافة العباسية في مصر وموت الخليفة العاضد إلى استتباب الامور لصلاح الدين، بل واجه فتناً كان من أهمها ظهور بعض المنتقمين للخلافة الفاطمية الذين حاولوا إحياءها في مصر، ففي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، بدأت مؤامرة اشترك فيها الحاقدون على صلاح الدين وكان من زعمائها عمارة اليمني[٢٠]، وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاة فضلاً عن غيرهم من جند مصر وبقايا السودان وحاشية القصر.

وفي الوقت نفسه يقومون هم بإشعال الفتنة من الداخل ولكن هذه المؤامرة كشفت قبل ان تنفذ، وذلك بفضل اشتراك زين الدين علي بن الواعظ احد رجال صلاح الدين مع مدبريها فقد اخبره بما عزم عليه أولئك فقبض عليهم وصلب زعماءهم في رمضان سنة (٥٦٩هـ/ ابريل ١١٧٤م)، ونفى الآخرين إلى الصعيد[٢١].

أما بالنسبة للصليبيين فيبدو ان صليبيي الشام عرفوا انكشاف المؤامرة وانه لا قبل لهم بملاقاة صلاح الدين فلم يفعلوا شيئاً.

اما ملك صقلية فقد جهز جيشاً لذلك والتقى مع جيش صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، ودارت معركة كبيرة انتهت بانتصار صلاح الدين وعاد أسطول صقلية يجر أذيال الخيبة[٢٢].

وبهذا تحققت أحلام نور الدين محمود بإقامة جبهة إسلامية موحدة تضم مصر وبلاد الشام يستطيع بها الوقوف في وجه العدوان الصليبي.

وظهرت أحداث أدت إلى ظهور وحشه بين نور الدين وصلاح الدين وكلاهما مخلص في جهاده الإسلامي.

وقد اتبع صلاح الدين سياسة متشددة لتستتب له الأمور فيها؛ فغادر مصر كبار القادة في الجيش النوري، أمثال عين الدولة ياروق وعز الدين جرديك وغيرهما، ممن لم تعجبهم سياسة صلاح الدين، ولعلهم أثاروا نور الدين ضده[٢٣].

فضلاً عن إحاطة صلاح الدين نفسه بجماعة الاسدية وهم جماعة عمه أسد الدين شيركو وعلى رأسهم الفقيه عيسى الهكاري، وجاولي الاسدي، وبهاء الدين قراقوش الذي حكّمه في قصور الخليفة العاضد بعد وفاته[٢٤].

بالإضافة إلى تحكم صلاح الدين في خيرات مصر وعدم تخصيص شيء منها لبلاد الشام حتى اضطر نور الدين إلى ان يرسل مبعوثاً من قبله وهو الموفق خالد بن

القيسراني إلى صلاح الدين، ليطلع على الأمور، ويطالبه بحساب ما أخذه من قصور الخليفة الفاطمي «وتقرير القطيعة على صلاح الدين في كل سنة»[٢٥]، وأخذ صلاح الدين يوسع نفوذه في اليمن وغيرها.

وعندما أدرك نور الدين ان صلاح الدين أخذ يوسع نفوذه في البلدان المجاورة لمصر، قرر الدخول إليها وأخذها منه، فاستدعى جيوشه من الشرق وعزم على المسير إلى مصر. إلا ان مشروعه هذا لم يتم حيث وافاه الأجل قبل تنفيذه[٢٦]، وهذا من مشيئة الله جل في علاه ليكمل المشروع الجهادي من بعده صلاح الدين.

**دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م:**

عندما أكمل نور الدين مشروع توحيد الجبهة الإسلامية الذي أصبح يضم الشام ومصر، حتى وافته المنية رحمه الله في شوال سنة ٥٦٨هـ/ مايو ١١٧٤م، وتولى الامر بعده ابنه الصغير الملك الصالح إسماعيل الذي لم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره، مما اثار الإطماع داخل البيت الزنكي وخارجه في امتلاك هذه الدولة[٢٧]. وكان أول الطامعين ابن عم نور الدين سيف الدين غازي وذلك عندما استعان به نور الدين لغزو مصر، وعندما توجه وهو في أثناء الطريق بلغه نبأ وفاة نور الدين وتوليه ابنه الصغير فداخله الطمع في هذه المملكة، وأسرع باحتلال بعض المواقع المهمة ببلاد الجزيرة مثل نصيبين والخابور وحدات والرها والدقة وسروج وغيرها، واخذ ينافس غيره من الامراء في تدبير دولة الملك الصالح[٢٨].

ولم تقتصر الأطماع بعد وفاة نور الدين بالبيت الزنكي بل تعدا ذلك إلى البيت الأيوبي، الا ان هؤلاء الأمراء سرعان ما دب الخلاف بينهم واخذ كل منهما يسعى للحصول على الوصاية على الملك الصالح، فابن المقدم يسعى للحفاظ عليه بدمشق في الوقت الذي كان ابن الداية يتحين الفرص لنقله إلى حلب.

والخلاصة ان تلك الخلافات بين الأمراء الشاميين تطورت تطوراً خطيراً عندما انفرد كمشتكين بتدبير أمور الملك الصالح ثم مصالحته لسيف الدين غازي، مما أثار مخاوف بقية الأمراء من إطماعه، فاضطروا إلى الاستنجاد بصلاح الدين، الذي أدرك انه

ينبغي مواصلة السياسة التي بدأها زنكي، وجرى عليها نور الدين من بعده، والتي تقتضي بتوحيد كلمة المسلمين، والقضاء على الصليبيين فأجاب طلبهم[٢٩].

خرج صلاح الدين من مصر، قاصداً الشام بعد ان تأكد من ان الملك الصالح (صبي لا يستقل بالأمر ولا ينبض بأعباء الملك) على رأس جيش قوامه سبعمائة فارس، بعد ان استخلف على مصر اخاه الملك العادل، وسار حتى وصل بصرى وهناك استقبله صاحبها الذي سبق أن كاتب صلاح الدين للقدوم إلى الشام وقدم له المساعدات والتسهيلات، ثم سار صلاح الدين حتى وصل دمشق، وفتحت له ابوابها وتسلمها دون عناء يذكر في أواخر شهر ربيع الآخر سنة (٥٧٠هـ/ نوفمبر ١١٧٤م)[٣٠]، وهنا يمكننا ان نؤكد ان خروج صلاح الدين إلى الشام لم يكن في تحقيق أطماع ومكاسب شخصية، وإنما ظهر الاتجاه واضحاً في سياسته نحو تحقيق الوحدة الإسلامية ويقصد مواجهة الصليبيين صفاً واحداً وبدليل ما صرح به صلاح الدين من عبارات تدل على ذلك عند خروجه إلى الشام.

أما العبارات التي قالها صلاح الدين عند خروجه إلى الشام فكما يذكر سبط ابن الجوزي ان صلاح الدين كتب إلى شرف الدين بن عصرون يقول: «لما بلغني وفاة نور الدين المرحوم خرجت من مصر لقصد الجهاد، وتطهير البلاد من اهل الكفر والعناد»[٣١]، كذلك ذكر ابن واصل ان صلاح الدين قال: «لو استمرت ولاية القوم تفرقت الكلمة، وطمع الكفار في البلاد»، كما قال: «انا لا نؤثر الإسلام وأهله الا ما جمع شملهم ولف كلمتهم»[٣٢].

تسلم صلاح الدين دمشق ورحب به الدماشقة، وسكن دار والده المعروفة بدار العقيقي، وكان عليه ان يتسلم قلعتها التي احتفظ بها الخادم ريحان، ورفض بادئ الأمر تسليمها، وأرسل إلى القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري يخبره بان صلاح الدين لا يزال على ولائه للملك الصالح، وانه انما جاء لخدمته واعادة دولته، واستطاع ابن الشهرزوري اقناع ريحان، وتسلم صلاح الدين القلعة واستتب الامر له في دمشق.

ولعل السبب في اتباع صلاح الدين أسلوب الولاء للملك الصالح هو خوفه من إثارة الناس ضده واتهامه بخيانة سيده نور الدين محمود، واستمال صلاح الدين قلوب الدماشقة إليه بتوزيع الأموال عليهم وأزالة ما استجد من منكرات وضرائب ومكوس[٣٣].

وكان لدخول صلاح الدين دمشق أثره البالغ في نفوس القائمين بتدبير دولة الملك الصالح وعلى رأسهم سعد الدين كمشتكين فلما سمعوا بذلك سارعوا إلى الاستنجاد بسيف الدين غازي صاحب الموصل الذي راسلهم فصالحوه على ما بيده من البلاد(٣٤).

وهنا يبدو ان صلاح الدين تجنب الصدام مع الملك الصالح إسماعيل فأرسل إليه كتاباً يظهر له الولاء، ويؤكد إنما جاء لخدمته، ولجمع كلمة المسلمين للوقوف في وجه الصليبيين، واستشار الملك الصالح كبار رجال دولته في حلب، فاشاروا عليه بعدم الموافقة فرد على صلاح الدين برسالة شديدة اللهجة وهدده فيها بإخراجه من دمشق واتهمه بالطمع في الملك. فغضب صلاح الدين من ذلك وقال لرسول الملك الصالح «والله ما جئت إلى هاهنا شرها ولا طمعاً في الدنيا، وفي مصر كفاية وما جئت الا لاستنقذ هذا الصبي من مثلك وأمثالك وانتم سبب زوال دولته»(٣٥).

وعلى كل حال فانه يحتمل ان صلاح الدين عندما وصله تهديد الملك الصالح وسمع باستنجاده بسيف الدين غازي، أدرك خطورة موقفه في دمشق، وقدر توسيع نفوذه في بلاد الشام فخرج من دمشق، فبدأ بحمص واستولى عليها في جمادي الأولى من سنة ٥٧٠هـ/ ديسمبر واستعصت عليه قلعتها، فلم يضيع الوقت في حصارها(٣٦) وسار إلى حماة فاستولى عليها في بداية شهر جمادي الآخرة من نفس السنة(٣٧).

ثم اتجه صلاح الدين إلى حصار حلب فخرج الملك الصالح واستنهض أهلها لمقاومة صلاح الدين وذكرهم بمآثر أبيه فخرجوا لقتاله، ولكن يبدو ان سعد الدين كمشتكين أدرك خطورة الموقف فراسل الإسماعيلية الباطنية وبذل لهم أموالاً طائلة لقتل صلاح الدين، وكادوا ينجحون في مهمتهم لولا انكشاف خطتهم وكادوا قتل صلاح الدين حيث جرحوه وحفظه الله منهم وبعد ذلك قتلهم ولما فشل الإسماعيلية في اداء مهمتهم، وبقي صلاح الدين على حصار حلب، راسل امراء حلب ريموند الصنجلي الصليبي امير امارة طرابلس يطلبون المساعدة الذي كان يدرك اهمية تحالف الصليبيين مع الحلبيين، بالاضافة إلى خطورة قيام وحدة بين الديار الشامية والديار المصرية، لذلك أسرع إلى نجدتهم وسار لحصار حمص، فاضطر صلاح الدين إلى رفع حصار حلب وتوجه لملاقاة الصليبيين فلما سمعوا بمقدمه رحلوا عن حمص، فدخلها وملك قلعتها، ثم توجه إلى بعلبك فملكها أيضاً من سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م(٣٨).

# المبحث الثاني
# التنظيمات العسكرية في عهد القائد صلاح الدين

**أولاً- الاقطاعات العسكرية في منهج صلاح الدين.**

حيث كان النظام الحربي للجيش في العصر السلجوقي قوتهم من الجيش الذي نما نمواً عظيماً على أثر دخول كثير من الناس في الإسلام في العصر العباسي وانطوائهم تحت لواء الإسلام وبلغت أعدادهم مئات الألوف، ويدفع لهم رواتبهم بانتظام.

وكان الجيش العباسي بوجه عام يتألف من الفرسان والمشاة أو الرحالة والمنجنيق والنشابين والنفاطين والدبابين والعيارين وهم رماة الحجارة مع المقالع، كما أن الجيش يتألف من المهندسين والأطباء والبياطرة والمرتزقة[٣٩].

ونشأ نظام الإقطاع الحربي في الشرق الإسلامي في العصور الوسطى في عهد الدولة السلجوقية (٤٢٩هـ-٤٨٥هـ)، وكانت تسير على صرف رواتبهم النقدية للجيش مما اتسعت رقعة الدولة وصعوبة السيطرة عليها وإرهاق الإدارة المالية فيصرف المرتبات التي تصرف للجيش وكان ينظر في مقامات الجند وما يتعلق بأمور الاقطاعات الخاصة[٤٠].

ان مصر في العصر الفاطمي شاهدت أحياناً نظاماً إقطاعياً لمنح أمراء الجيش بينما في الشام ارتبطت هذه الاقطاعات بالخدمة الحربية حسب النظام الاقطاعي الزنكي الذي كان إقطاعاً وراثياً وكانت هذه الاقطاعات عند موت الأب تحول إلى ابنه وإذا كان الابن صغيراً يولي عليه من يكون يدير أمره حتى يكبر[٤١].

أما الإقطاع في عهد صلاح الدين في مصر يمنح مقابل الخدمات الحربية الا أنه لم يكن وراثياً، لأن صلاح الدين كان يدرك ان التوريث ينتج عنه نتائج عكسية بالنسبة للخدمات الحربية في عدة حالات، عندما يموت المقطع له ويترك أطفالاً لا يؤهلون لحمل السلاح ولا يستطيع المشاركة في الحملات العسكرية. وبهذه الحالة تؤدي إلى الفوضى[٤٢].

وبدأ صلاح الدين بتوزيع أراضي مصر على هيئة اقطاعات فمنح بعضها لأهل بيته، والبعض الآخر وزعه بين أمرائه وقادة جيشه، حيث أقطع صلاح الدين والده نجم

الدين الإسكندرية ودمياط والجيزة، واقطع أخاه شمس الدولة توران شاه قوص وأسوان وعيذاب[٤٣].

ويعطي الاقطاعات مكافأة لهم على جهودهم الجليلة امثال امير حصن كيفا حيث أقطع له نظير خدماته[٤٤].

وكذلك منح صلاح الدين إلى سيف الدين المشطوب عندما اطلقه الصليبيون من الأسر حيث احسن صلاح الدين في استقباله واقطع اليه نابلس وأعمالها في سنة (٥٨٨هـ)[٤٥].

وكان الإقطاع أحياناً يحتوي على أراضي مستصلحة نتيجة شق قنوات وجسور وإقامة السدود الزراعية الصغيرة في تلك الأراضي الزراعية التي أقطعت لهم التي كانت لها أهمية كبيرة في ري الاقطاع، أما الجسور السلطانية وهي السدود الزراعية الكبيرة التي شيدت لمنفعة الأقاليم ولمنفعة المالية، وكان المقطعون يساعدون السلطان في تشييد هذا النوع من الجسور وذلك بإمداده بالرجال والبقر والآلات والمقطع له يشارك في حفر وتطهير الترع والقنوات[٤٦].

وقد اتبع صلاح الدين نفس الأسلوب الذي اتبعه أسلافه الزنكيون في توزيع الرواتب للجيش، حث وزع الاقطاعات بدلاً عن الرواتب للجند عند جهادهم وهم معه ضد الصليبيين[٤٧].

## ثانياً- ديوان الجيش.

أ. الديوان في اللغات: الديوان بالكسر، وقد دونت الدواوين تدوينا، هو السجل[٤٨].

ب. الديوان في الاصطلاح: هو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها، الجيوش والعمال[٤٩].

وما يذكره العالم المؤرخ ابن خلدون: «الديوان من الوظائف الضرورية للملك وهي قيام على الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج وإحصاء للعساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم وكلها مدونة في كتاب شاهد بتفاصيل الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك بالديوان»[٥٠].

وأول من وضع الديوان في الإسلام هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ[٥١]، والدواوين اختصت في الشؤون الإدارية في العصرين الراشدين والأموي.

## ثالثاً- الديوان في عهد صلاح الدين:

كان ديوان الجيش الصلاحي مشرفاً ومسؤولاً من توزيع الاقطاعات ومتابعاً، فقد كان هذا الديوان مركزاً لتوزيع الاقطاعات بين الأمراء المقطعين، ومن أهم مهامه إثبات أسماء أصحاب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ومن ثم الإشراف على تلك الاقطاعات التي تمنح حسب نوع خدمته للسلطان، وكذلك تقدير الغيابات أي يخصم من راتبه الجندي عند غيابه[٥٢].

وديوان الجيش في عهد صلاح الدين أيضاً قام بتسجيل انتقال الجندي من مرتبة إلى مرتبة أخرى واقطاع جديد للمرة الأولى[٥٣].

ولديوان الجيش احصاءات دورية بعدد الجيوش والمبالغ المقررة لهم حيث يذكر العالم المؤرخ المقريزي: «أنه في رجب سنة ٥٧٧هـ بلغت عدة الاجناد ثمانية آلاف وستمائة وأربعين، والأمراء مائة وأحد عشر»[٥٤].

وكان أهم موظفي ديوان الجيش في عهد صلاح الدين، فيشمل الناظر وهو الذي يعد المسؤول الأول عن كل ما يجري في الديوان، وكان لابد من توقيعه الرسمي على جميع ما يجري من الديوان من أوراق رسمية والاشراف على كل ما يدخل في الديوان وما ينصرف منه[٥٥].

ولديه جميع البيانات وبالمصروفات والبواقي والفوائض والمتأخرات[٥٦].

## رابعاً- الأسلحة والمؤن والعتاد:

أ- **التعبئة العسكرية:** هي مجموعة الأعمال التي يقوم بها القائد في مجال تحشيد القوات في ميدان المعركة وسوقها إلى خطوط القتال أو تنسيق قواته للرد على هجمات العدو والانتصار عليه.

الا أن اساليبها وصنوف جيشها والآلات والمعدات التي يستعملها وغيرها هي التي تغيرت وسار عهد صلاح الدين على نظام التخميس[٥٧].

والتعبئة في عهد صلاح الدين لم تختلف عن العهود الإسلامية التي سبقتها أو التي لحقتها إذ كان يتألف من عسكر المقدمة ثم عسكر القلب حيث يكون السلطان بجنوده وعسكره على جهة الميمنة ويسمى الميمنة، وعسكر آخر الشمال ويدعى الميسرة، وهناك فرق أخرى وراء العسكر أطلق عليها الساقة هذه هي أصول أجمع ترتيب جيوش المسلمين(٥٨).

ويعرف كل أمير منزلته التي وضعها له صلاح الدين في استعداده وللزحف على العدو بحيث تقف الميمنة في مقابلة ميسرة العدو، والميسرة في مقابلة ميمنته حتى ان الميمنة والميسرة تقسم إلى جناحين أيمن وأيسر، والقلب الذراع الايمن للقلب والذراع الأيسر للقلب، وتتكون المؤخرة من المطبخ والخزينة والفائض من الخيول والاسرى والجرحى وخاصةً طبقت هذه الأصول في موقعته الكبرى في سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) في مواجهة الصليبيين في تل العياضية(٥٩).

وكان في معسكر المسلمين في هذه الموقعة الكبرى هو القلب صلاح الدين القائد المرشد البطل الذي رتب جيشه على هذه الأصول العسكرية(٦٠).

**ب-أسلحة الجيش في العهد الأيوبي:** ان استمرار حالة الحرب بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية كان على صلاح الدين ان يهتم بالحرب وشؤونها والسلاح المستخدم فيها وخاصةً في بلاد الشام وعرفت بلاد الشام بتوفير مادة الخشب فيها من غابات الجبال الكثيفة أمثال أشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والزان(٦١).

ولكن الطرطوسي من معاصري صلاح الدين حيث طلب منه ان يؤلف كتاباً يشمل أنواع السلاح وطرق صناعته(٦٢).

حيث يذكر فيه ان المنجنيقات على عهد صلاح الدين كانت ثلاث أنواع منها العربي الذي أمتاز بدقة صناعته وجودة استخدامه، ومنها التركي الذي يعد أقل أنواع المنجنيقات كلفة في صناعته وأرخصها مؤونة، أما النوع الثالث فهو الفرنجي وقد وصفها وصفاً دقيقاً(٦٣).

وأكد صلاح الدين على الرماة الذين يضعون الحجر على الكفة، لأن في ذلك له أثر في تحديد المسافة التي يصل اليها الحجر وبعد المسافة، وأكد أيضاً على السهم فمتى

كان السهم في لين ليس بالمفرط كان ذلك أثره بالغ في الوصول إلى مسافة أبعد واشد نكاية للهدف المقصود(٦٤).

واستخدم أيضاً سلاح النفط والزيوت والكبريت وخل الخمر الحاذق والقطران وشحوم الحيوانات ونخالة الحنطة وكانت هذه المواد تخضع لعمليات كميائية دلت على بداعة المسلمين في إنتاج السلاح، والنفاطين والزراقين عن طريق رمي النفط خلال الأنابيب على دفعات متعاقبة على سفن العدو فتحرق السفن في الماء(٦٥).

## خامساً- توجيهات صلاح الدين للجيش أثناء المعركة:

أما توجيهات القائد صلاح الدين لجيشه أثناء القتال وجدت العادة ان يسبق معارك صلاح الدين حركة استكشاف يقوم بها طائفة من جيشه عرفت باسم اليزك يمرن أفرادها على تقصي أخبار العدو ومعرفة خططه الحربية وقد يعهد اليه بمهمة مناوشة العدو بالنشاب واستدراجه إلى معسكر المسلمين(٦٦).

أما إذا أراد صلاح الدين الشروع في بدء القتال يأمر بدق الكوسات(٦٧).

إيذاناً ببدء القتال، يدلنا على ذلك قول العماد الاصفهاني: «كانت العلاقة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو، دقد الكوس، حتى إذا سمعناه جددنا في الزحف إلى العدو بالنفائس والنفوس»(٦٨).

وكان يرسل أحد الجنود فضلاً عن قيامه بالصياح والمناداة في الجيش لحثهم على الجهاد(٦٩). واهتم صلاح الدين بالقضاء في عسكره تحسباً للفصل فيما قد يحدث بين العسكر من اختلاف ومشاكل تشغلهم عن الجهاد، وقد تولى هذه الوظيفة في عهد صلاح الدين المؤرخ بهاء الدين(٧٠).

أما وضع الخطط العسكرية فقد وضع صلاح الدين لإقرارها والإشراف عليها مجلس الشورى ينعقد كلما دعت الضرورة لانعقاده، واستشار صلاح الدين ذلك المجلس في عملياته الحربية وعمل بمشورته وكان رئيس المجلس صلاح الدين والأعضاء أخوته أمثال العادل أبي بكر وأولاده وأولاد أعمامه والقاضي(٧١).

# المبحث الثالث
# وقعة صفورية ومعركة حطين

**أولاً- وقعة صفورية:**

عندما كان صلاح الدين بالقرب من الكرك والشوبك لحماية الحجاج من ارناط الخبيث، أرسل قوة استطلاعية، وأسند قادتها إلى مظفر الدين كوليوري صاحب حران، فسارت هذه القوة المدججة بالسلاح باتجاه صفورية بسرعة وخفاء في الجزء الاخير من الليل، وهجموا على العدو في الصباح الباكر «وصبحوا صفورية وساء صباح المنذرين»(٧٢).

أما الصليبيون الذين كانوا بنوم هادئ، فأنهم استيقظوا على أصوات السيوف والرماح وأسرعوا إلى شعثهم لمواجهة ذلك الهجوم الإسلامي المفاجئ، والتقى الجمعان ودارت معركة رهيبة، انتهت بالانتصار الإسلامي المظفر، وسقط معظم الصليبيين قتلى وأسرى وكان من جملتهم، مقدم الاسبتارية، وعدد كبير من فرسانهم، ونجا مقدم الداوية بصعوبة(٧٣).

ومما زاد الطين بله، عندما اتجهت قوة أخرى من الصليبيين إلى صفورية لنجدة إخوانهم، كانت تلك المعركة قد انتهت، فإذا بهم يقعوا أسرى عن آخرهم، ورجع المسلمون من هذه المعركة سالمين غانمين، وكان هذا «باكورة البركان ومقدمة ما بعدها من ميامين الحركات»(٧٤).

ونستنتج، أن المسلمين عندما آمنوا بالجهاد وأحيوا سيرته الإسلامية الأولى، وآمنوا بضرورة القضاء على الصليبيين، لم تهمهم قوة كبيرة، لأن الايمان بالله وحب الاستشهاد في سبيله الذي ملأ قلوب الرجال المسلمين هو الذي دفعهم إلى تحقيق هذا النصر.

**ثانياً: معركة حطين ونتائجها.**

عندما كان صلاح الدين بالقرب من حصن الكرك، استبشر ووقف يرتقب وصول الحجاج، بعد ذلك النصر الذي حققه في معركة صفورية، فترك الكرك والشوبك، وسار مسرعاً على رأس جيشه في اتجاه العدو، وعسكر في عشترا (موقع بحوران من

أعمال دمشق). اجتمعت حوله العساكر الاسلامية بأعداد هائلة حتى (غص بها القضـــاء) كما قال ابن واصل[٧٥] وفي عشترا قام بعرض معسكره، فكان فـــي أثنـــي عشـــر ألـــف مقاتل[٧٦]، وفي الحديث «لا يغلب أثني عشر ألف من قلة»[٧٧]، ثم رتب جيشه طبقاً لنظام المعركة المعتاد، فجعل ابن أخيه تقي الدين عمر في الميمنة ومظفر الدين كوكبوري فـــي الميسرة وكان هو في القلب، وبقية الجيش فرقه على الجناحين، استعداداً للحرب[٧٨].

ورداً على ذلك التجميع الإسلامي العظيم، فإن الصليبيين لما ســـمعوا باجتمـــاع كلمة الإسلام عليهم ومسير ذلك الجيش الإسلامي اليهم، علموا قد جاءهم ما لا عهد لهـــم بمثله، وان كيانهم زائل لا محالة «فاجتمعوا واصطلحوا، وحشـــدوا وجمعـــوا، وانتحـــوا» فصالح القومص الملك جاي، بعد ان دخل عليه ورمى بنفسه عليه[٧٩]، ومن ثـــم أصـــدر الملك جاي الأمر بالتعبئة العامة، ومعنى ذلك أنه لابد ان يتقدم لحمل السلاح كل الرجـــال القادرين ولا يلجأ الملك إلى ذلك الا عند الضرورة القصوى[٨٠]، وحشد الصليبيون حشوداً كبيرة، ورفعوا صليب الصلبوت، لتجتمع الناس حوله، وقد اكتملوا عدة ذلك الجيش بعد أن تم توزيع الأموال التي بعثها ملك انجلترا هنري إلى الملك جاي، والتي أمر بإنفاقها علـــى الرجال. أما بالنسبة لتقدير عدد الجيش الصليبي الذي ظل معسكراً فـــي صـــفورية بعـــد هزيمته من تلك السرية الإسلامية، فإن المؤرخين المعاصرين ذكروا أن عدده بلغ «زهاء خمسين ألفاً أو يزيدون»[٨١]، لكن يبدو أن في ذلك مبالغة كبيرة، ويرجح ما ذهب اليه احد الباحثين من أنه ليس من السهل تقدير عدد الجيش اللاتيني، وأن من المرجح أنـــه يبلـــغ عشرين ألفاً[٨٢].

ومهما يكن من أمر فإن صلاح الدين لما علم باجتماع الصليبيين في صـــفورية عقب هزيمتهم من السرية الإسلامية في هذا المكان، استشار قواده فيمـــا يفعـــل، فأشـــار أكثرهم بترك اللقاء، واتباع الطريقة السابقة من اغارات متكررة، وتكبيد العـــدو خســـائر حتى تضعف مقاومته، ومن ثم أنزال الضربة القاضية بالصليبيين. وأشار الفريق الآخـــر بالتوغل في بلاد الصليبيين، والاشتباك معهم في معركة فاصلة[٨٣]. وهنا تبدو لنا حنكـــة صلاح الدين العسكرية. إذ اختار الخطة الثانية القائمة على الاشتباك مع العدو في معركة فاصلة، وإذ يظهر أن صلاح الدين أدرك أن معظم القوات التي تجمعت عنده فـــي ذلـــك الوقت جاءت من أماكن بعيدة من مصر ودمشق وحلب و الجزيرة والموصل وديار بكـــر

وغيرها، وأن هذه العساكر القائمة على نظام الاقطاع الحربي كما سبق أن رأينا– لها التزامات في اقطاعاتها، الأمر الذي قد يدفعها بعض الأحيان إلى طلب الاستئذان منه والعودة لقضاء حوائجها.

هذا بالإضافة إلى ان صلاح الدين ربما قصد بإتباع تلك الخطة، استغلال ذلك الانشقاق الذي حدث في صفوف الصليبيين، نتيجة وفاة الملك بلدوين الخامس، وتتويج الملك جاي لوزجنان، والذي عده أحد الباحثين، سبباً حرمت من أجله مملكة بيت المقدس من معونة أقوى إمارتين صليبيتين بالشام هما أمارة طرابلس، وأمارة إنطاكية(٨٤).

وهكذا أصبح الموقف بين صلاح الدين والصليبيين على أشده، وبات الطرفان منهما ينتظر هجوماً سابقاً من الآخر. وهنا يبدو أن صلاح الدين الذي كان يتوق إلى الاشتباك مع الصليبيين في معركة فاصلة، كان يدرك أن تمركزهم في صفورية، يعطيهم مكانة عظيمة في القتال، وذلك أن صفورية تعد من احسن المواقع الملائمة لإقامة المعسكرات، وذلك لما يتوافر بها من المراعي والمياه، وغيرها من الموارد الطبيعية اللازمة لذلك، لهذا اعتمد إلى استدراج الصليبيين إلى المكان المناسب الذي يستطيع فيه انزال الهزيمة بهم. هذا بالإضافة إلى أنه على الرغم من ذلك كان يريد أن يجبرهم على المسير إليه حتى يصلوا متعبين، ويكون هو مدخراً جهده وجهد رجاله(٨٥)، لذلك أخذ صلاح الدين يعد عدته للقيام بعمل يستطيع اجتذاب الصليبيين في معسكرهم في صفورية والنزول إلى المكان الذي يختاره. فاخذ كل يوم يرمي جماعة من رجاله، لمباغتة الصليبيين والنكاية بهم، محاولاً بذلك استدراجهم اليه، غير أن تلك الغارات المتكررة، لم تؤثر على الصليبيين، فلم يتركوا مركزهم في صفورية فرأى صلاح الدين الهجوم على طبرية ذاتها، لأن الصليبيين متى رأوا هجومه ذلك بادروا بالوصول اليه، وبذلك يكون قد تحقق له ما قصده(٨٦).

وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا خص صلاح الدين طبرية دون غيرها من الهجوم؟ ويبدو أن صلاح الدين أدرك ان وجود زوجة ريموند وأولاده في منطقة طبرية كفيل بإثارة ريموند أمير طرابلس المشهور بشدة الغيرة(٨٧)، هذا بالإضافة إلى ان صلاح الدين، كان يعلم أن نزوله في ذلك الموضع يستطيع أن يوصد الطريق المؤدي إلى طبرية، ويسيطر في الوقت ذاته على الدورية التي تجتاز الحافة الشرقية إلى طبرية وتنتهي إلى

الماء[٨٨]، في حين أن الصليبيين عند خروجهم من صفورية، وتقدمهم اليه في منطقة وعرة لا تتوفر فيها المياه.

وفي يوم الخميس ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ٢يوليه ١١٨٧م، اصدر صلاح الدين أوامره إلى الجانب الرئيسي من جيشه بالتقدم إلى طبرية ومهاجمتها فنزل عليها ونقب بعض اسوارها وأخذها عنوة، ولجأ من بها من الصليبيين إلى القلعة وامتنعوا بها[٨٩]، وما كادت أخبار ذلك الهجوم تصل إلى أسماع الصليبيين، حتى جن جنونهم، ودعا الملك جاي إلى مجلس حرب، فأشار بعضهم بالتقدم إلى المسلمين وقتالهم ومنعهم من التوغل في طبرية، في حين أشار ريموند صاحب طرابلس على الملك بالبقاء في موضعه بصفورية، قائلاً له: «إن طبرية لي ولزوجتي، وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل، وبقية القلعة، وفيها زوجتي، وقد رضيت بأن يأخذ القلعة وزوجتي. وما لنا بها فيعود، فوالله لقد رأيت عسكر الإسلام قديماً وحديثاً، ما رأيت مثل ذلك العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة، وإذا أخذ طبرية، لا يمكنه المقام بها، فمتى فارقها، وعاد عنها أخذناها، وإن أقام بها لا يقدر على المقام بها إلا بجميع عساكره، ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن اوطانهم وأهليهم فيضطر إلى تركها وتفتك من اسر منها»[٩٠]، وهنا يبدو أن سياسة صلاح الدين في إيقاع الخلاف في صفوف الصليبيين قد أتت أكلها، حيث لقي رأي ريموند هذا معارضة شديدة من كل من ارناط صاحب الكرك[٩١]، وجيرار مقدم الداوية، اللذين اتهماه بالخيانة والانحياز إلى المسلمين. حيث رد عليه قائلاً «قد أطلت في التخويف من المسلمين، ولا شك أنك تريدهم وتميل إليهم». واستطاع ارناط وجيرار التأثير على الملك جاي الذي أصدر أوامر إلى الجند بالمسير إلى طبرية. وبدأ الجيش الصليبي زحفه من صفورية يتقدمه ريموند في ظروف سيئة للغاية، فروح الصليبيين منحطة، وجزء كبير منهم لم يكن من أنصار التقدم نحو طبرية، فساروا مكرهين[٩٢]، هذا بالإضافة إلى ما تعرض له ذلك الجيش الصليبي في طريقه من متاعب وخسائر بسبب الكمائن التي نصبها صلاح الدين لهم اثناء سيرهم، فضلاً عن حرارة الجو، ووعورة الطريق وانعدام الماء وازاء هذه الظروف القاسية حل بالجيش الصليبي أثناء سيره من صفورية إلى طبرية، انفصال كبير، حيث لم تستطع مؤخرته مجاراة سير بقية الجيش والاتصال بالملك في الوسط. الأمر الذي اضطر الملك جاي إلى اقامة معسكره، قبل الوصول إلى طبرية.

على الرغم من تلك المحاولة التي قام بها ريموند أمير طرابلس الذي كان في المقدمة، لحث الصليبيين على التقدم للوصول إلى المياه. مما أدى إلى تذمر ريموند من ذلك التصرف، وإدراكه بأن الهزيمة حاصلة لا محالة.

وفي الوقت الذي بلغ فيه الجيش الصليبي حالة كبيرة من الانهاك والتعب والانهيار، كان جيش صلاح الدين يعسكر بالقرب من طبرية مملوءاً بالثقة.

وأخذ صلاح الدين الذي غمرته الفرحة بسبب نجاحه في استدراج الصليبيين إليه من معسكرهم الآمن في صفورية يقول: «جاءنا ما نريد، ونحن أولوا باس شديد»[٩٣]، فرتب رجاله في تلك الليلة، وفرق عليهم الاسلحة، وترك على طبرية فرقة من جيشه، وسار هو على رأس جيشه لملاقاة الصليبيين على سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين، وهي منطقة على هيئة هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من ثلثمائة متر، ولها قمتان مما جعل العرب يطلقون عليه أسم قرون حطين. وبوصول الصليبيين إلى تلك الهضبة كانوا قد بلغوا حالة من الانهاك والتعب، واشتد بهم العطش بعد أن حال جيش صلاح الدين بينهم وبين الوصول إلى الماء[٩٤].

التقى الجمعان على سهل جبل طبرية الغربي منها، وحال الليل دون تصادمهما ذلك اليوم[٩٥]. وفي صباح الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣هـ/١١٨٧م تحرك الجيشان وتصادما بأرض تسمى اللوبيا، واستمر القتال إلى ان حجز الظلام بينهما «وبات كل فريق في سلاحه»[٩٦]. والواقع ان جيش صلاح الدين قضى تلك الليلتين ينعم بكافة الوسائل التي تعينه على القتال، فقد كان يعسكر في منطقة سهلة غنية بالمراعي والمياه، أما الجيش الصليبي، فقد كان بلا شك خلال تلك المدة شقاءً وإنهاكاً، بسبب إقامة معسكره على منطقة وعرة عديمة المياه وفي جو شديد الحرارة. ويبدو ان صلاح الدين، قد استغل توقف القتال تلك الليلة، ليكمل استعداداته لمهاجمة العدو الذي لجأ إلى سفح جبل حطين، ليعصمهم من المهالك، ومن ثم المبيت في جو معتدل يخفف منهم شدة الحرارة والعطش، وعلى الرغم من أوامر الملك جاي التي كانت تقتضي بأن يندفعوا إلى اسفل التل ليؤدوا واجبهم نحو الصليب والعرش، الا أنهم اعتذروا بشدة العطش، وانهم لا يستطيعون الحرب[٩٧].

فأستغل صلاح الدين ذلك، ورتب جيشه ورسم له الخطط، وأحاط بهم (احاطة الدائرة بقطرها) كما يقول ابن الأثير[٩٨].

وفي الصباح الباكر من يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ/ يوليا ١١٨٧م تقدم الجيش الإسلامي الذي أكمل استعداداته للمعركة الفاصلة وفي المقابل تحرك الجيش الصليبي واضعاً في ذهنه الوصول إلى طبرية لعله يرد الماء، الا ان صلاح الدين ببراعته الحربية أدرك مقصدهم، ووقف بعسكره في وجوههم. وأخذ صلاح الدين يطوف بين الصفوف يحرض الرجال على الجهاد، ويأمرهم بما ينفعهم وينهاهم عما يضرهم، وهم له طائعون[٩٩]، وبدأ الهجوم الإسلامي على الصليبيين، فاستمات المسلمون في القتال وشددوا هجماتهم على الاعداء مدركين «أن من ورائهم الأردن، ومن بين أيديهم بلاد الروم، وانهم لا ينجيهم الا الله تعالى»[١٠٠].

وأمام ذلك الهجوم الإسلامي الرهيب، أدرك الصليبيون أن نهايتهم قد حانت، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار أو الاستسلام، ولم يستطع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس الذي رأى عجز الصليبيين في مقاومة الجيش الإسلامي، فأتفق مع جماعة من اصحابه وحملوا على من يليهم من المسلمين، ففتح المسلمون لهم طريقاً يخرجون منه، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى[١٠١]، ويبدو أن خروج ريموند تم بموافقة صلاح الدين، الذي أصدر أوامره إلى ابن اخيه تقي الدين عمر، مقدم تلك الناحية التي حمل عليها ريموند، وقصد صلاح الدين بذلك ادخال الضعف واليأس في نفوس الصليبيين عندما يعلمون بهروب ريموند وجموعه. كما لا يستبعد أن يكون ذلك الأمر، قد تم باتفاق بين ريموند وصلاح الدين، بدليل ان بعض الصليبيين عندما تعرضوا لذلك الهجوم الشامل من المسلمين، ألقوا أسلحتهم، وجاءوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين[١٠٢].

ومما زاد الطين بلة، انه في الوقت الذي تخلى فيه ريموند عن ابناء ملته، كان بعض المتطوعة المسلمين قد أشعلوا النيران في الأعشاب والاشواك اليابسة التي تكسو تلك المنطقة، وكانت الريح تهب باتجاه الصليبيين «فأجتمع عليهم العطش وحر الزمان، وحر النار، والدخان، وحر القتال، الأمر الذي اضطر معه الصليبيون إلى التراجع إلى أعلى الجبل، وأرادوا ان ينصبوا خيامهم، ويحموا انفسهم به، فأشتد عليهم القتال من سائر الجهات، ومنعوا عما أرادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك[١٠٣].

ويبدو أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة، يعمد على القضاء على الصليبيين وإدخال الوهن في نفوسهم بكل الوسائل، ولم يكن همه مقصوراً على القتال المباشر فقط، بل كان يعمد إلى اشياء يكون تأثيرها على العدو أكبر، والدليل على ذلك أنه بعد ان حصر الصليبيين في أعلى جبل حطين، ركز اهتمامه على الاستيلاء على صليبهم الأعظم الذي يسمونه صلب الصلبوت، والذي يذكرون "أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم»[١٠٤]، لأنه كان يعلم أن الاستيلاء عليه يعد أعظم سلاح لتحطيمهم نفسياً ومعنوياً. وبالفعل فما أن تمكن من أخذه حتى حل بالصليبيين البوار وأيقنوا بالهلاك وتقدم المسلمون نحو قمة الجبل، والصليبيون يتراجعون أمامهم، ويتساقطون أسرى وقتلى، حتى لم يبق مع الملك الصليبي الذي وصل إلى أعلى التل سوى فئة قليلة لا يتجاوز عددها مائة وخمسين فارساً من الفرسان المشهورين الشجعان[١٠٥].

وذكر ابن الأثير على لسان الملك الأفضل ابن صلاح الدين أن الصليبيين لما تراجعوا إلى رأس ملكهم إلى اعلى التل حملوا حملة قوية على من بإزائهم من المسلمين، وكادوا يزيلونهم عن أماكنهم، إلا أن المسلمين عادوا فردوا على تلك الحملة، واستطاعوا إعادة الصليبيين مرة أخرى إلى أعلى الجبل، مما جعل الملك الأفضل يعبر عن فرحته بذلك النصر بقوله (هزمناهم)، وعاد الصليبيون مرة أخرى وحاولوا دحر المسلمين الذين ردوا عليهم بحملة أقوى أرجعتهم مرة ثالثة إلى أعلى التل، فعاد الملك الأفضل وعبر عن فرحته بذلك النصر مرة أخرى بقوله (هزمناهم)، وهنا تبدو لنا مهارة صلاح الدين الحربية وخبرته في ميادين القتال، إذ كان يرى أن الهزيمة لن تتم على الصليبيين إلا بسقوط قيادتهم قتلاً وأسراً، فأجاب ابنه قائلاً: «اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة» يقصد خيمة الملك، ثم أخذ في تشديد هجماته، وما هي الا لحظات حتى سقطت تلك الخيمة فنزل صلاح الدين وسجد شكراً لله تعالى وبكى من فرحه[١٠٦].

والواقع أن ما فقده الصليبيون في هذه المعركة من قتلى وأسرى يُعد من افدح الكوارث التي حلت بهم، وما ورد من إشارات إلى عدد القتلى يشوبه الخلط والاضطراب. والواقع أنه لم ينج إلا عدد قليل من المحاربين، بالإضافة إلى من نجا من جند المؤخرة بقيادة باليان ابلين، وريجنالد صاحب صيدا، أو جند المقدمة بقيادة ريموند صاحب طرابلس[١٠٧]، اما معظم إفراد الجيش الرئيسي بقيادة الملك جاي لوزجنان فقد تساقطوا في

أيدي المسلمين قتلى، وأسرى، وكان على رأس الأسرى الملك جاي، وارناط صاحب الكرك وأوك صاحب جبيل، وهنفري بن الهنفري صاحب تبنين، وابن صاحبة طبرية، وجيرار مقدم الداوية، ومعظم من نجا من الاسبتارية، وغيرهم من أكابر الصليبيين[١٠٨].

ثم أمر صلاح الدين فضربت له خيمة، نزل فيها وصلى لله تعالى شكراً على هذه النعمة التي درج الملوك من قبله على تمني مثلها، وماتوا بحسرتها[١٠٩]، ثم أحضر ملوك الصليبيين ومقدميهم واستقبلهم استقبالاً حسناً، وأجلس الملك جاي إلى جانبه، وأجلس البرنس ارناط صاحب الكرك إلى جانب الملك، وبادر صلاح الدين بتقديم أناء به ماء ثلج للملك جاي، فشرب منه، وأعطى ما تبقى لاناط فشرب، وعندئذٍ غضب صلاح الدين من ذلك، وخاطب الملك مؤكداً له بأن ارناط لم يشرب الماء بأذنه فينال أمانة، ثم ألتفت اليه وذكره بجرائمه وخيانته وقال له «كم تخلف وتنكث؟» فقال الترجمان عنه انه يقول: «قد جرت عادة الملوك بذلك»[١١٠] فأوقفه السلطان صلاح الدين وقال له: «هانذا استنصر لمحمد» ثم عرض عليه الإسلام فأبى، فأستل صلاح الدين سلاحه وضربه فحل كتفه، وتمم عليه من حضر[١١١]، وقال: «كنت نذرت دفعتين أن أقتله ان ظفرت به، احداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة والثانية لما أخذ القفل غدراً»[١١٢].

ولما رأى ملك بيت المقدس جاي لوزجنان ذلك المنظر، خاف، وظن ان صلاح الدين سوف يثني به، ولكن السلطان استحضره، وطيب قلبه، وقال له: «لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك، أما هذا فانه تجاوز حده فجرى ما جرى»[١١٣]، ثم أحضر صلاح الدين الداوية والاسبتارية، وعرض عليهم الإسلام فمن اسلم استبقاه ومن أبى أمر بقتله[١١٤]، والجدير بالذكر أنه ليس من المعروف تماماً لماذا أفرد صلاح الدين فرسان الداوية والاسبتارية بالقتل دون غيرهم من الأسرى. وربما كان سبب ذلك ما ذكره ابو شامة من أن صلاح الدين، قال: «أنا أطهر الأرض من هذين الجنسين النجسين، فما جرت عادتهما بالمفاداة، ولا يقلعان عن المعاداة، ولا يخدمان في الأسر، وهما أخبث أهل الكفر»[١١٥] ومن المعروف أن فرسان هاتين الهيئتين، قد تنكروا للمبادئ التي كرسوا حياتهم لخدمتها، فخلعوا زيهم الديني الأسود، وانتشحوا بالوشاح العسكري الأبيض والشارة الصليبية الحمراء، وأصبحوا في زمرة المحاربين، وأمتلك كل منهم ثلاثة من الخيل، وغلاماً يتبعه، وصار منهم قادة عظام يحملون الألقاب والرتب العسكرية، يجيدون حبك

سياسة الغدر بالمسلمين، ونقض العهود والمواثيق، وكان هدف هاتين الطائفتين الأول والأسمى طعن الإسلام، وانتهاك حرماته بشتى الوسائل مهما كلفهم ذلك من ثمن(١١٦).

أما بقية الأسرى، فقد أمر صلاح الدين، بأن يساقوا إلى دمشق حيث أحتيط على الأمراء، وبيع عامة الفرسان والجند الصليبيين في الأسواق بأثمان زهيدة(١١٧). ودخل القاضي ابن عصرون دمشق وصليب الصلبوت منكس بين يديه، وعاد السلطان إلى طبرية(١١٨).

أما ريموند الثالث أمير طرابلس، فانه لما نجا من المعركة- كما سبق أن ذكرنا وصل إلى صور، ثم قصد طرابلس، ولم يلبث إلا أياماً قليلة، حيث مات غيظاً وحنقاً مما جرى على الصليبيين خاصة وعلى دين النصرانية كافة(١١٩).

والواقع أن هذا الانتصار الحاسم الذي حققه صلاح الدين في حطين، راجع إلى ما بذله من جهود في الاعداد لها، حيث خاض تلك المعركة في جيش قوي، ومهارة حربية منقطعة النظير، فضلاً عن اختياره لمكان المعركة وزمن وقوعها، حيث عسكر بجيشه على طبرية حائلاً بين العدو وبين الماء، كما أعلن جهاده في شهر يولية الذي يعد اشد شهور السنة حرارة، وأقلها ماء في الصهاريج والغدران، حتى أصبح العطش من اقوى الاسلحة بين يديه(١٢٠).

وهكذا غدت ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام غداة موقعة حطين تحت رحمة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن الواحدة تلو الاخرى.

ولكي يصفي الوجود الصليبي من طبرية عاد إليها من حطين مباشرة، وراسل زوجة ريموند الثالث، فأجابت التسليم فأمنها هي ومن معها، وندب إليها من تسلم منها الحصن بما فيه، وخرجت بمالها ورجالها ونسائها إلى طرابلس بلد زوجها، وولى صلاح الدين على طبرية قايماز النجمي(١٢١).

ويبدو أن الصليبيين عقب تلك المعركة ظنوا أن صلاح الدين سيتجه لا محالة إلى الاستيلاء على بيت المقدس، فلجأ من نجا من المعركة إلى هناك. الا أن صلاح الدين خيب ظنهم فبدلاً من أن يتجه إلى بيت المقدس ليستولي عليه استيلاء آمناً سهلاً إذ يتجه صوب عكا أولاً. وهذا التصرف وبلا شك يعد مظهراً من مظاهر عبقرية صلاح الدين الحربية وبعد نظره إذ أختار أن يبدأ أولاً بالاستيلاء على المدن الصليبية الساحلية ليحرم

الصليبيين من قواعدهم البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي. بخاصة الغرب الأوروبي فيمسون محصورين داخل بلاد الشام، وبعد ذلك تتساقط في يده المعاقل والمدن الصليبية في الداخل، هذا فضلاً عن ان استيلاء صلاح الدين على ذلك الشريط الساحلي سيمكنه من تحقيق الاتصال البحري السريع بين شطري دولته في مصر والشام(١٢٢)، بالإضافة إلى ما اشتهرت به مدن الساحل الشامي من خيرات بسبب نشاط التجارة بها ولعل مما يؤيد ذلك ما ذكره ابو شداد وابو شامة من أن صلاح الدين بدأ بمدينة عكا لأنها «كانت مظنة التجار»(١٢٣)، فضلاً عن أن ذلك سوف يؤثر- على ما يبدو- على نفسيات الصليبيين داخل بيت المقدس، بانقطاع أملهم في وصول الامدادات إليهم فيجعل مقاومتهم بسيطة.

أتجه صلاح الدين بعد ثلاثة ايام من اقامته في طبرية صوب المدن الساحلية، وبدأ بمدينة عكا فوصلها يوم الاربعاء نهاية شهر ربيع الآخر ٥٨٣هـ/ يولية ١١٨٧م، وخيم بالقرب منها وراء التل، ونصب عليها المنجنيقات، وضيق عليها(١٢٤). ولما طلع فجر يوم الخميس مستهل جمادي الأولى ركب في عسكره، ووقف بازاء التل، مصمماً على الزحف والقتال وبينما هو يرتاد موضعاً للهجوم، إذ خرج اليه كثير من اهلها يتضرعون ويطلبون الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وخيرهم بين الإقامة والرحيل، فاختاروا الرحيل. ودخل صلاح الدين بجيشه المدينة، واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر، واطلق سراح من كان بها من أسرى المسلمين، الذين يقال ان عددهم بلغ أربعة آلاف نفس(١٢٥). ورتب في كنيستها العظمى منبراً، وأقيمت فيه صلاة الجمعة، وأقطع عكا لإبنه الافضل علي، وأعطى ما للداوية القطاع وضياع للفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري(١٢٦).

وأثناء مقام صلاح الدين بعكا فرق عساكره لفتح المعاقل والمدن الساحلية القريبة من عكا، فأستولى على الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف وغيرها من البلاد المجاورة لعكا كما سير أيضاً أبن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر، فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور، وابن أخته حسام الدين بن لاجين إلى نابلس، فأتى حسام سبسطية- وفيها قبر زكريا عليه السلام- فأخذها من أيدي الصليبيين، ثم واصل سيره إلى نابلس فدخلها وحاصر قلعتها واستدرج من بها بالأمان، وتسلم القلعة(١٢٧) كما قام الملك العادل

في الوقت نفسه بمهاجمة المدن الساحلية في الجنوب، فأستولى على حصن مجدل يابا، ثم أتجه إلى يافا وفتحها بعد حصار شديد(١٢٨).

وجه صلاح الدين همه بعد ذلك إلى الاستيلاء على المعاقل والمدن الساحلية في الشمال، فبدأ بتبنين التي كانت على حصانة كبيرة، بدليل ان تقي الدين ابن أخ صلاح الدين الذي كان قد سبقه إليها، رأى أن حصرها لا يتم إلا بوصول عمه صلاح الدين إليه، فأرسل يعلمه الحال، ويحثه على الوصول إليه، فسار صلاح الدين اليها في ثامن جمادي الأولى ونزل عليها في حادي عشرة سنة ٥٨٣هـ/ يولية ١١٨٧م، وضايقها بالزحف والخناق لما ضاق الأمر على من بداخلها من الصليبيين، راسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان، واستمهلوه خمسة ايام لينزلوا بأموالهم، فأمهلهم بعد أن أخذ رهائن من مقدميهم، كما تقربوا إليه بإطلاق الاسارى من المسلمين، فلما أخلى الصليبيون البلد تسلمها صلاح الدين، ووفى لهم وسيرهم إلى مأمنهم(١٢٩).

ولما فرغ صلاح الدين من تبنين سار إلى صيدا، واجتاز في طريقه بصرفند(١٣٠)، فاستسلمت بدون قتال وواصل سيره إلى صيدا، التي ما أن سمع صاحبها بمسيرة إليها حتى هرب منها، وتركها بدون مدافع، وجاءت تراسله بمفاتيحها إلى صلاح الدين، فتسلمها في الحادي والعشرين من جمادي الأولى ٥٨٣هـ/ أواخر يولية ١١٨٧م(١٣١). ثم سار صلاح الدين حتى اتى بيروت، التي وصفها ابن الأثير بأنها من أحصن مدن الساحل وأنزهها وأطيبها، ووجد أهلها قد صعدوا على أسوارها(١٣٢)، فبدأ هجومه عليها يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادي الأولى، وضايقها بالزحف والقتال، فقاومه من بها من الصليبيين مدة، ثم طلبوا منه الأمان، فأمنهم، وتسلمها منهم يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر نفسه ٥٨٣هـ/ أوائل أغسطس ١١٨٧م(١٣٣).

ولا شك أن المسلك المعتدل الذي سلكه صلاح الدين تجاه الصليبيين، والقائم على اعطائهم الأمان متى طلبوه، ساعده على الاستيلاء على كثير من تلك الموانئ الساحلية بعناصرها النشيطة في الميدان التجاري، مثل البنادقة والجنوبية والبيازيّة وغيرهم، مما أدى إلى استمرار رواج الحياة الاقتصادية في بلاد الشام(١٣٤)، يضاف إلى ذلك أنه لا يستبعد أيضا أن يكون صلاح الدين بما عرف عنه من مهارة في ميادين القتال فإنه في الوقت الذي عمل فيه جاهداً للسيطرة على هذه المدن والموانئ الساحلية، قد وضع في

اعتباره، تجنب انهاك جيشه وادخار قواه لاسترجاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين، ولعل ما يؤيد ذلك ما فعله صلاح الدين، عندما أتجه بعد ذلك نحو جبيل، وتقدم إليه صاحبها الذي كان من جملة الأسرى في معركة حطين، يعرض عليه استعداده لتسليم جبيل مقابل إطلاق سراحه.

فرأى صلاح الدين أن ذلك سيريحه من عناء القتال، فاستحضره من دمشق مقيداً، فأمر حامية جبيل بالتسليم، فوافق من بداخلها من الصليبيين على ذلك فاستولى صلاح الدين عليها بدون قتال(١٣٥).

ولما فرغ صلاح الدين من الاستيلاء على بيروت وجبيل وغيرهما، أتجه نحو مدينة صور، ففرض عليها حصاراً شديداً، الا انه رأى أن أمرها غداً صعباً لما تتمتع به من حصانة، ففضل الاتجاه نحو مدن الجنوب، واختار أن يبدأ بمدينة عسقلان، ذلك المركز المهم الذي طالما أتخذه الصليبيون قاعدة لتهديد مصر من ناحية، وقطع طرق المواصلات بينها وبين الشام من ناحية أخرى(١٣٦)، فسار بعسكره نحو عسقلان، واجتمع بأخيه العادل، الذي خرج من مصر على رأس عسكرها. ونازلها يوم الأحد الموافق السادس عشر من جمادي الآخرة سنة ٥٨٣هـ/ أواخر أغسطس ١١٨٧م(١٣٧)، وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة وبينا وغيرها(١٣٨)، وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد ان يدخر قوته لاسترداد بيت المقدس، فضلاً عما ذكر من أنه أدرك ان عسقلان ربما اتعبته بسبب قوة حصانتها واصرار حاميتها الصليبية على المقاومة(١٣٩)، فأحضر الملك جاي لوزجتان وجيرار مقدم الداوية من دمشق، وقال لهما «ان سلمتما البلاد إلي فلكما الأمان» فأرسلا إلى من بعسقلان من الصليبيين يأمرانهم بتسليم البلد، إلا أنهم لم يستجيبوا لأمرهما وردوا عليهما رداً قبيحاً(١٤٠). فلما رأى صلاح الدين ذلك شرع في نصب المنجنيقات عليها وبدأ قتالها والتضييق عليها، والملك جاي يكرر عليهم المراسلات يطلب منهم التسليم، ويعدهم انه إذا أطلق أضرم البلد نادراً على المسلمين، إلا أنهم استمروا في مقاومة صلاح الدين، حتى نفذت مقاومتهم، فراسلوا صلاح الدين، وطلبوا منه الأمان. فأمنهم وسلموا المدينة في نهاية جمادي الاخرة ٥٨٢هـ/ أوائل سبتمبر ١١٨٧م(١٤١).

أما بالنسبة للملك جاي لوزجنان، الذي خذله من بعسقلان من الصليبيين، بعدم تسليمها للمسلمين مقابل إطلاق سراحه، فيذكر أنه قد أرسل إلى نابلس، وفي الوقت نفسه،

وافق صلاح الدين على ارسال رسالة إلى زوجته سيبيل التي كانت تقيم في بيت المقدس، لدعوتها للحضور إلى نابلس للإقامة مع زوجها جاي لوزجتان[١٤٢]. اما جيرار مقدم الداوية، فيبدو أن صلاح الدين قد أطلق سراحه نظير ما اداه له من معونة لاسيما حثه حامية غزة على التسليم[١٤٣].

وخلاصة القول أن صلاح الدين بانتصاره الحاسم على الصليبيين في معركة حطين وسيطرته التامة على مدن وموانئ الساحل الشامي، ذلك الانتصار الذي ذهب ضحيته معظم قادة الصليبيين وزهرة فرسانهم فضلاً عما تكبده خلال ذلك من خسائر مادية جسيمة، لم يبق أمامه داخل مملكة بيت المقدس، سوى بيت المقدس نفسه، الذي بات من بداخله من الصليبيين في عزلة تامة عن الغرب الأوروبي والامارات الصليبية الأخرى ببلاد الشام.

وأصبح الطريق ممهداً وسهلاً أمام صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين.

## المبحث الرابع
## استرداد صلاح الدين لبيت المقدس

**أولاً- استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس.**

وبعد هزيمة الصليبيين في معركة حطين توجهوا إلى بيت المقدس ولجؤهم اليه خير وسيلة لنجاتهم، لما لها من قدسية هذا المكان في قلوب المسلمين والمسيحيين، اضافة اخلاق التسامح في خلق صلاح الدين واحترامه للمقدسات حتى بلغ عددهم ستين ألفاً عدا النساء والصبيان[١٤٤].

وصلاح الدين اعطاهم الامان متى طلبوه للصليبيين واعطاؤهم الحرية في اختيار المكان الذي يرغبون في اللجوء اليه وحدث هذا في الاماكن امثال عكا وعسقلان وبيروت وغيرها[١٤٥].

الا ان الصليبيين كانوا يرون ان الموت أيسر عليهم من ان يأخذ المسلمون بيت المقدس وبدأوا يحصنون بيت المقدس خوفاً لقدوم صلاح الدين وجيشه إلى بيت المقدس واستعدوا لتحصينه بكل إمكانياتهم[١٤٦].

ورغم الأمان الحربي واستقرارهم في بيت المقدس الا أنهم أرادوا ان يكون بيت المقدس لهم دون غيرهم وبدأت الأطماع والحقد الدفين يظهر في قلوبهم مما يساعدهم في ذلك البطريق هرقل يشحن قواده وأمراءهم بعدم الوفاء لصلاح الدين ويحرض القائد الصليبي باليان دي ابلين بعدم الوفاء ونقض العهود التي ابرمها مع صلاح الدين ويذكرهم هرقل: «بان الموت ببيت المقدس خير لهم من تسليمه للمسلمين»(١٤٧).

## ثانياً- صلاح الدين واستلامه لبيت المقدس:

استطاع صلاح الدين بخططه العسكرية التي اقامها ضد الصليبيين لاسترداد بيت المقدس، وقامت تلك الخطة على تكوين جبهة إسلامية تحوي كل من مصر وبلاد الشام واجزاء من العراق ثم مواجهة الصليبيين في عقر دارهم وإنزال الضربة القاضية بهم كما حدث في معركة حطين واستطاع المسلمون إضعاف الصليبيين مادياً ومعنوياً وكان قتال الصليبيين ومن يعاونهم من الغربيين لأن بيت المقدس فيه اعتقاداتهم الباطلة الا وهي كما يقول الأصفهاني: «فيها صلب المسيح، وقرب الذبيح وتعبد اللاهوت وتأله الناسوت وقام الصليب»(١٤٨).

واستطاع صلاح الدين السيطرة على الساحل وعدم وصول الإمدادات الي بيت المقدس وقطع كل أمل للصليبيين سواء في الغرب الأوربي أو في بلاد الشام في الوصول إلى بيت المقدس، وإنقاذه بفضل الله وفضل الجيش الإسلامي الذي يقوده صلاح الدين، ولما استرد صلاح الدين عسقلان وغيرها من البلاد المحيطة ببيت المقدس، واستطاع صلاح الدين جمع الحشود العسكرية الإسلامية في المشاركة وزاد همم المسلمين في الاشتراك والجهاد في تطهير تلك البقعة المقدسة أولى القبلتين وثالث من تشد إليه الرحال ومسرى النبي محمد ﷺ، وما ان سمع المسلمون في كافة أنحاء العالم الإسلامي حتى جاءوا متوافدين من كافة الشرائح من العلماء والقضاة والفقهاء الذين قدموا على التطوع في الجهاد لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام(١٤٩).

واستطاع صلاح الدين بجهوده تحضير كافة أدوات الحصار الكافية لاقتحام الأسوار ذات الأبراج العالية واحضر المنجنيقات والعرادات والنفاطات لدك الاسوار واشعل النيران لفتح الثغرات في الأسوار لاقتحام الأسوار ودخول المدينة(١٥٠).

واختار صلاح الدين موضعه الجانب الغربي في مواجهة الأسوار من بوابة داود إلى بوابة القديس ستيفن وذلك في ١٥ رجب (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، ورغم الحصانة الموجودة وضخامة الاعداد للصليبيين فيها ولوجود الأبراج الكبيرة فيها[١٥١].

ولصعوبة هذه المنطقة ووجود أشعة الشمس في أعين المسلمين الأمر الذي لم يستطيعوا معه مواصلة القتال حتى بعد الظهر بسبب تعرضهم لأشعتها، وأمر صلاح الدين جيشه بالتراجع وسحب آلات الحصار، إلا أنه بدأ من جديد يكتشف جوانب أخرى صالحة للهجوم على الصليبيين من الجهة الشمالية، واستطاع صلاح الدين من مواجهة العدو وكشف الأسوار والدنو منها لنقبها[١٥٢].

وان الصليبيين ظنوا ان تحول صلاح الدين من الجهة الغربية إلى الجهة الشمالية بأنه رفع الحصار عن بيت المقدس وفرحوا فرحاً شديداً وما دامت فرحتهم الا وان تحولت إلى بكاء وعويل عندما وجدوا المنجنيقات تضربهم أمام مراكزهم من الاسوار لضربها[١٥٣].

وقامت خطة صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس على أساس قيام المنجنيقيات الإسلامية بضرب الأسوار وقوة الزحف والقتال للجيش الإسلامي نحو الصليبيين واستطاع النقابون المسلمين للأسوار من نقب الأسوار بأمر صلاح الدين واشعال النيران مما ساعد على هدمها وفتح الثغرات واقتحامها والسيطرة عليها ودخول المسلمين المدينة[١٥٤].

وكانت داخل الأسوار، بعض المذاهب الارثوذكسية لما عانته من الكاثوليكية واستطاعت هذه الطوائف مساعدة صلاح الدين وفتح الأبواب للمدينة لدخول المسلمين من خلالها[١٥٥]، وخاف الصليبيون داخل القدس على أنفسهم خوفاً شديداً.

وأخيراً اتفق الصليبيون على إرسال الرسل بطلب الأمان مقابل تسليم المدينة لصلاح الدين وامتنع صلاح الدين عن إجابتهم إلى ذلك.

ومن أقوال صلاح الدين: «لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة (٤٩١هـ) من القتل والسلب وجزاء السيئة بمثلها»[١٥٦].

فأصر صلاح الدين على فتح المدينة بالسيف، فلما يئس باليان من ذلك اراد ان يستثير عطف صلاح الدين بالتهديد بقتل النساء والأطفال وأسرى المسلمين حيث قال له: «أيها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة خلق كثير لا يعلمه الا الله تعالى، وإنما يفترون عن

القتال رجاء الأمان ظناً منهم أنك تجيبهم إليه، كما أجبت غيرهم، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فإذا رأينا لابد من ذلك فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ولنحرقن أموالنا وأمتعتنا، ولا نترككم تغتنمون منها ديناراً واحداً ولا درهماً، ولا تسبون وتأسرون رجلاً ولا امرأة وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف أسيراً، ولا نترك الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعزاء أو نظفر كراماً»(١٥٧).

وقد حصلت مفاوضات ما بين الصليبيين وصلاح الدين ليتم تسليم بيت المقدس، حيث اتفق الصليبيون على إرسال الرسل بطلب الأمان مقابل تسليم المدينة لصلاح الدين، إلا إن أمر صلاح الدين بدخول المدينة بالسيف وان يفعل بهم كما فعلوا بأهله سابقاً، واستشار صلاح الدين أصحابه في الاستيلاء على المدينة واعتبار سكان المدينة أسرى حرب(١٥٨).

فأجابهم صلاح الدين إلى الأمان مقابل تسليم بيت المقدس ووافق على مغادرة الصليبيين المدينة مقابل فداء يدفعونه، فجعل على الرجل عشر دنانير وعلى المرأة خمس دنانير وعلى الصبي أربعة دنانير(١٥٩).

وحدد صلاح الدين لباليان مدة أربعين يوماً مقابل إطلاق سراحهم، ومن بقي بعدهم صار مملوكاً وسلمت المدينة يوم الجمعة ٢٧ رجب (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وتركوا الصليبيون كل شيء لإنقاذ أنفسهم وكانوا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان].

ودخل صلاح الدين مع جيشه من المسلمين ورفعت فيه الأعلام وتم توقيع اتفاقية التسليم واستولوا على المدينة وشاء القدر أن يكون ذلك في ليلة الإسراء والمعراج الليلة التي أسرى فيها نبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء(١٦٠). والأعلام التي رفعت بلونها الأصفر وهو شعار الأيوبيين المنتصرين على أسوار المدينة المقدسة إيذاناً بالسيطرة الكاملة عليها(١٦١).

# المبحث الخامس

**أولاً- توجهات صلاح الدين بعد بيت المقدس:**

خرج صلاح الدين من بيت المقدس واتجه أول الأمر إلى عكا للنظر في احوالها وتفقد تحصيناتها(١٦٢).

ويبدو ان صلاح الدين كان يخاف على عكا في ذلك الحين من هجوم صليبي غربي لما لها في نفوس المسيحيين بسبب مكانتها الإستراتيجية والتجارية، ثم توجه إليها صلاح الدين حتى اشرف عليها وعسكر بالقرب منها ينتظر وصول بقية عسكره وآلات الحصار، وبهذا وصل الملك الظاهر بن صلاح الدين وقد سر الوالد صلاح الدين بقدوم أبنه(١٦٣).

وتجمعت لديه العدد والعتاد والرجال والمنجنيقات والدبابات ومن ثم نزل على الصور وقسم عسكره بالتناوب وقاتلوا مع صلاح الدين كل من ولديه وأخيه العادل قتالاً حاسماً قوياً(١٦٤). فطلب الصليبيون الأمان مقابل التسليم، فأجابهم صلاح الدين.

والواقع ان تلك الخطة التي اتبعها صلاح الدين مع الصليبيين، والتي تقوم على تأمينهم مقابل تسليم المدن والحصون له، أتاحت لصلاح الدين فرصة الاستيلاء على معظم مملكة بيت المقدس في الشهور القليلة، وقد اختار سياسة التسليم مقابل الآمان عملاً بالشريعة الإسلامية السمحاء(١٦٥).

وكما قال شاعرنا الحيص بيص شرف الدين أبو الفوارس (ت٥٧٤هـ):

**ملكنا فكان العفو منا سجيةٌ ... فلما ملكتم سال بالدم أبطحُ**
**حلّلتهم قتل الأسرى وطالما ... عدنا على الأسرى نمن ونصفحُ**
**وحسبكم ذاك التفاوت بيننا ... وكلُ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ**

ورأى الصليبيون بقيادة كونراد أنهم ليس بمقدورهم مواجهة صلاح الدين وجيشه في مدينة صور وأراد الصليبيون استثارة الغرب الأوربي للمشاركة في قتال المسلمين، وطلب كونراد من الغرب بإمداده بالجند وبالسرعة الممكنة لمواجهة المسلمين وقد أثار فتن كبيرة على المسلمين ومن أقواله: «انه أرسل صور إلى معظم بلاد غرب أوربا حيث حملها القسوس، ورؤوسهم مكشوفة وعليهم المسوح، وهم ينادون بالويل والثبور في

المجامع والأسواق»[١٦٦]، وأرسل أيضاً صوراً فيها فارس مسلم على فرس وقد وطئ قبر المسيح وقد بال الفرس على قبر المسيح[١٦٧]. كما يزعمون ويكذبون.

بحيث أخذ يستنجد الأوربيين ويحثهم بالتوجه نحو الشرق لأخذ بالثأر لبيت المقدس[١٦٨].

واستجابت البابوية لنداء كونراد وادعائه بالأكاذيب المبطنة إلا أنهم صدقوهم وأرسلوا المدد من كل من فرنسا، وإمبراطورية ألمانيا وانجلترا، وطلب من الجميع للمشاركة بالحملة لاسترجاع بيت المقدس من المسلمين، بحيث وجه أحد الباباوات وهو البابا كلمنت الثالث دعوة عامة إلى كافة المسيحيين في الغرب الأوربي يطلب منهم الاشتراك في حملة صليبية لاسترجاع بيت المقدس للصليبيين، وهددهم بأن يحرم عليهم مطاعمهم ومشاربهم حيث قال لهم: «من لا يتوجه إلى القدس مستخلصاً فهو عندي محرم لا منكح له ولا مطعم»[١٦٩].

وهكذا نجح كونراد الذي تولى زعامة الصليبيين في الشرق وجاءوا بأعداد كبيرة جداً إلى بلاد الشام، وفي الوقت نفسه أدرك صلاح الدين وبعث برسالة إلى الخليفة العباسي في بغداد في سنة (٥٨٦هـ)، ويذكر فيها ويخبره بأن هناك أقوام جاءت مستقبلة وإعدادهم كبيرة يطلبون الثأر فارقوا الأوطان واستجابوا لصوت ونداء كونراد لما ادعاه وقد شارك في هذه الحملة عدد كبير من الرجال والنساء في القتال من الصليبيين وتقدمهن لكل وسائل الحربية والرفاهية حتى لا يتسرب الملل في نفوس المحاربين[١٧٠].

وللحملة الصليبية الثالثة لدخول الصليبيين عكا في بلاد الشام في سنة (٥٨٥هـ)، ولهذه الجموع الغفيرة من الجنود الالمانية وكانوا ذو نظام عسكري دقيق، وسار هذا الجيش نحو القسطنطينية وحل بهم كرب شديد[١٧١].

وأخيراً قد رحل دريك ملك ألمانيا بعد ان حل بجيشه الكوارث وحول اتجاههم إلى عكا وما ان توجه إلى عكا بجيشه في سنة (٥٨٦هـ) عن طريق جبلة واللاذقية، وانتهز المسلمون فرصة مرور الشراذمة الألمان فقاتلوهم المسلمون واسروا منهم عدداً كبيراً ولما وصل الألمان إلى طرابلس حل بهم وباء ومات على أثره عدد كبير منهم، واستعد لهم صلاح الدين وارسل القاضي بهاء الدين ابن شداد وأمراء الموصل وسنجار والجزيرة وكان عدد كبير من المسلمين ساروا معه للجهاد، وقد أرسل في نفس الوقت

الخليفة العباسي وأمد صلاح الدين بالمال والعتاد لمساعدته في هذه الهجمات على الالمان(١٧٢).

## ثانياً- الموقف الأوروبي مع الصليبيين في بلاد الشام:

ورغم الخسائر التي ألحقها المسلمون بالصليبيين فان الغرب الاوروبي لم ينقطع امداداته عن الصليبيين ببلاد الشام، الأمر الذي مكن الصليبيين من مواصلة حصارهم لعكا، ففي الوقت الذي كان صلاح الدين فيه قد حقق انتصارات عظيمة على الصليبيين سواء في المعارك أو في تحطيم آلاتهم وأدواتهم(١٧٣).

وبعد هذا قد وصل إلى المشرق الإسلامي اعظم ملوك أوربا في ذلك الحين وهما الملك فليب أغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا اللذين سلكا طريق البحر وكان لوصولهما الأثر البالغ في رفع الروح المعنوية للصليبيين، حيث أبحر ملك فرنسا من مدينة جنوا، وأبحر الملك ريتشارد من مرسيليا وتقابلا في جزيرة صقلية وقضيا ستة أشهر(١٧٤).

وكان كلاً منهما يريد ان يصل متأخراً قبل الاخر حتى يكون كبش فداء المسلمين ويبقى الأخير، فهذا عداء باطني بينهم(١٧٥)، وغادر ملك انجلترا ريتشارد صقلية في سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) قاصداً عكا، فهبت عاصفة قوية أثناء سير سفنه وفقدت عدداً منها، ووصل البحر المتوسط للبحث عنهن إلا أنهن رست في جزيرة قبرص التي يحكمها اسحق كومنين(١٧٦).

إلا ان الحاكم استولى على السفن التي رست في جزيرته، واسر رجالها وغنم ما تحمله هذه السفن التي تعود لريتشارد، وهذا مما اغضب ريتشارد منه، بحيث أنه طلب رتشارد من الصليبيين بنجدته، واستطاع ريتشارد الاستيلاء على الجزيرة وكسب الصليبيون مركزاً هاماً سهل لهم الاتصال مع أوربا(١٧٧).

## ثالثاً- فشل ريتشارد قلب الأسد في استرجاع بيت المقدس واحتلاله.

عندما تمكن ريتشارد من دخول عكا، بدأ يفكر في استرداد مدن الساحل الشامي التي استولى عليها صلاح الدين. ففي مستهل شعبان من سنة ٥٨٧هـ/ أواخر اغسطس

١١٩١م، أمر ريتشارد جيوشه بالمسير عبر الساحل في اتجاه حيفا. وما ان علم صلاح الدين بمسيرهم حتى نادى في عسكره بالجهاد، وأمرهم بالمسير لملاقاة الجيش الصليبي واثنائه عن تحقيق مهمته، فقامت فرقة من جيش المسلمين بمضايقة الصليبيين أثناء مسيرهم، بينما قامت فرقة أخرى بالانقضاض على مؤخرة جيشهم فقتلوا منها جماعة واسّروا جماعة أخرى(١٧٨).

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن الصليبيون من دخول حيفا، ثم المسير منها إلى قيسارية والنزول بها أيضاً. أما المسلمون فقد باتوا قريباً منهم، فخرج جماعة من الصليبيين وابعدوا عن معسكرهم، فهاجمهم المسلمون، وقتلوا واسروا عدداً كبيراً منهم(١٧٩). ولاقى الصليبيون أثناء زحفهم إلى قيساريه مشاق كثيرة بسبب وعورة الطريق، حتى ان رتشارد نفسه اصيب بجروح ورضوض مما جعله يطلب فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين. وهنا يبدو ان صلاح الدين اراد ان يكسب الوقت حتى تصل قواته من التركمان التي كان قد أرسل في طلبها فتظاهر بقبول مبدأ المفاوضات(١٨٠) وأناب عنه أخاه الملك العادل في تلك المفاوضات وبالفعل فقد دارت المفاوضات بين الملك العادل وريتشارد الذي كان حاصل كلامه: «أنه قد طال القتال بيننا، ونحن جئنا في نصرة أصحاب الساحل، فاصطلحوا انتم وهم وكل منا يرجع إلى مكانه (فأجابه الملك العادل بسؤاله عن شروط إتمام الصلح، فقال ريتشارد على ان يسلم إلى أهل الساحل ما أخذتم من البلاد)، فرفض العادل ذلك الطلب»(١٨١).

وأخيراً قرر ريتشارد المسير إلى بيت المقدس، فترك الصليبيون يافا واتجهوا إلى الرملة في ذي القعدة من سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م)، وما ان وصلوا إليها حتى أصيبوا بخيبة أمل شديدة بسبب اقدام صلاح الدين على تخريبها وتخريب مدينة اللد معها، في حين أقام صلاح الدين معسكره على النطرون استعداداً لملاقاة الصليبيين، إلا انه أدرك ان من الاحسن تخريب النطرون والمسير إلى بيت المقدس لاحكام الدفاع عنها، باستكمال تحصيناتها وترتيب أمورها(١٨٢).

ولم يكتفِ صلاح الدين بإقامة معسكره في بيت المقدس بعد تحصينه، بل أخذ يراقب تحركات الجيوش الصليبية، ومضايقتها واستطاع اسر نيف وخمسين فارساً من مشاهير الفرسان الصليبيين أثناء مسيرهم من الرملة إلى النطرون(١٨٣). هذا بالإضافة إلى

ما قام به جماعة من البدو الأعراب بإيحاء من صلاح الدين بالإغارة على مؤخرة الجيش الصليبي وتكبيده خسائر فادحة في العتاد والأرواح فضلاً عن قطع خطوط مواصلاته، والدليل على ذلك ما ذكره ابن شداد من ان صلاح الدين أوعز إلى ثلاثمائة من الاعراب بالاغارة على الصليبيين لكبس معسكراتهم ومضايقتهم فتمكنوا من تكبيدهم خسائر في الأموال والأمتعة والخيول(١٨٤).

ومهما يكن من أمر فإن تلك المحاولة التي نظمها ريتشارد لاستعادة بيت المقدس من المسلمين قد باءت بالفشل الذريع، أمام تصميم المسلمين على الجهاد في سبيل الله لتصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام، فضلاً عما ذكر من عوامل أخرى منها تخوف ريتشارد نفسه من الوصول إلى بيت المقدس يدلنا على ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الأثير من ان ريتشارد طلب ممن معه من الصليبيين الشاميين ان يصفوا له مدينة القدس التي لم يسبق له رؤيتها فوصفوها له فرأى ان الوادي يحيط بها ما عدا موضعاً يسيراً من جهة الشمال، فسأل عن الوادي وعن عمقه، فاخبروه بأنه عميق وعسر المسلك، فقال لهم: «هذه مدينة لا يمكن حصرها ما دام صلاح الدين حياً وكلمة المسلمين مجتمعين، لاننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة، فيدخل إليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون إليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادي، وبعضنا من الجانب الاخر جمع صلاح الدين عسكره وواقع إحدى الطائفتين، ولم يمكن للطائفة الأخرى مساعدة أصحابهم، لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فنهبوا ما فيه، وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو أصحابهم، فإلى ان يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم يكون صلاح الدين قد فرغ منهم، هذا سوى ما يتعذر علينا من إيصال ما يحتاج إليه من العلوفات والاقوات»، فلما قال لهم ذلك لم يعارضه أحد بل استصوب الجميع رأيه نظراً لقلة الميرة عندهم وأشاروا عليه بالعودة إلى الرملة، فغادروا دون تحقيق هدفهم خائبين خاسرين(١٨٥).

## المبحث السادس
## انتصار صلاح الدين وصلح الرملة سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)

وفي الوقت الذي عجز فيه ريتشارد قلب الأسد عن تحقيق الهدف الأساسي الذي خرجت من أجله الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام، وهو استعادة بيت المقدس، واجه ملك انجلترا مشاكل كثيرة كان لها الأثر الأكبر في اضطراره إلى قبول الصلح والنزول على شروط المسلمين. فقد حدث ان احتدم خلاف كبير بين كل من كونرادي مونتفرات، وجاي لوزجنان، كان لهذا الخلاف الأثر البالغ في تهديد وحدة الصليبيين ببلاد الشام، إذ كان كل منهما يرى نفسه صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس، ورأى البعض ان كونراد كان هو صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس نظراً لزواجه من ايزابيل وريثة المملكة[١٨٦]، فضلاً عن تمتعه بتأييد فرسان المملكة الذين كانوا يكرهون الملك السابق جاي لانهم كانوا يعتبرونه مسؤولاً عن كارثة حطين[١٨٧]، والذي يهمنا من ذلك هو ما ترتب على هذا الخلاف من قيام كونراد بمحاولة الاتصال بصلاح الدين أثناء بدء المفاوضات بين المسلمين والصليبيين حيث أراد كونراد منافسة ريتشارد والتفاوض مع صلاح الدين على حدة[١٨٨]. الأمر الذي كان له أثره البالغ على إضعاف صفوف الصليبيين.

ويبدو ان ريتشارد أدرك خطورة ذلك التصرف من كونراد، خاصة بعد فشله في محاولة ارضاء كونراد واسترجاعه إليه[١٨٩]. فعمد ريتشارد إلى عقد مؤتمر عام ضم الأمراء والفرسان لاستفتائهم في مشكلة أيهما صاحب الحق الشرعي بعرش مملكة بيت المقدس كونراد أم جاي؟ وعقد المؤتمر في عسقلان في ابريل سنة ١١٩٢ فاجمع الأمراء أجماعاً شبه تام على اختيار كونراد[١٩٠]. ولكن الحياة لم تطل بكونراد إذ قتل بيد أثنين من الباطنية أصحاب راشد بن شنان وهنا تكاد تجمع المصادر الإسلامية على ان قتل الباطنية له كان بتحريض من الملك ريتشارد[١٩١]. ويشذ عن ذلك ابن الأثير الذي ذكر ان ذلك كان بتحريض من صلاح الدين الأيوبي[١٩٢]. والذي لاشك فيه ان ما ذهب إليه ابن الأثير، والذي عرف بتحامله على صلاح الدين نظراً لأنه كان ربيب البيت الزنكي- بعيد عن الصحة كونه قد خرج عن الإجماع، فان مروءة صلاح الدين وشهامته لم تكن تدعه يفعل

ذلك، كما يبدو ان بقاء كونراد حياً، كان في صالح المسلمين لأن وجوده كان يشكل عامل خلاف في صفوف الصليبيين[١٩٣].

وعلى كل حال فان فشل ريتشارد في تحقيق أهدافه، جعله يدرك أنه لم يعد بإمكانه البقاء في بلاد الشام، وان عليه إنهاء الحرب مع المسلمين والعودة إلى بلاده. والواقع ان فشله في تحقيق أهدافه لم يكن العامل الوحيد الذي دفعه إلى ذلك، بل تظافرت عوامل أخرى كثيرة، كان لها الأثر البالغ في حرصه على تحقيق صلح مع المسلمين بأيه وسيلة كانت، فبالإضافة إلى نتائج مقتل كونراد ورد إلى ريتشارد سوء الأحوال الداخلية في بلاده[١٩٤].

والى جانب ذلك فهناك عامل آخر يزيد أهمية عن ذلك، هو انتصار المسلمين في مواقع كثيرة في سنة (٥٨٨هـ)، فقد ذكر ابن واصل في كتابه التاريخ الصالحي ان وقعات كثيرة جرت بين المسلمين والصليبيين في هذه السنة، كان الظفر فيها للمسلمين الا واقعة واحدة[١٩٥]، ومما يزيد تأييد حرص ريتشارد على تحقيق ذلك الصلح مع المسلمين ما ورد في المصادر من نصوص على لسان ريتشارد نفسه تدل على خضوعه التام وحرصه الشديد على تحقيق الصلح مع المسلمين بأي وسيله كانت من ذلك ما ورد في احدى محادثات الصلح حيث ذكر ان ريتشارد قال لأحد الرسل «قل لأخي- يعني الملك العادل- يبصر كيف يتوصل إلى السلطان في معنى الصلح»[١٩٦]، ومنها أيضاً قوله لأحد أمراء المسلمين «سلم على السلطان وقل بالله عليك أجب سؤالي في الصلح»[١٩٧].

والحقيقة ان مباحثات الصلح بين صلاح الدين وريتشارد قد بدأت منذ الأيام الأولى لوصول ريتشارد إلى المشرق، يدلنا على ذلك قيام ريتشارد بالاتصال بصلاح الدين بعد مضي عشرة أيام من وصوله إلى المشرق وبعد اشتراكه في معركة واحدة، حيث اوفد رسولاً من قبله يحمل رسالة إلى صلاح الدين يطلب منه فيها الاجتماع به، إلا ان صلاح الدين رد عليه بقوله: «ان الملوك لا يجتمعون إلا عن قاعدة ولا تحسن الحرب بعد الاجتماع والمواكلة»[١٩٨] وأدرك صلاح الدين ان هدف ريتشارد من ذلك هو تفلت العزمات وتضييع الأوقات على المسلمين[١٩٩].

ولم يمض على ذلك سوى مدة وجيزة حتى عاد ريتشارد مرة أخرى إلى طلب الصلح حيث بعث رسالة إلى صلاح الدين في العشر الاخير من رمضان من سنة

٥٨٧هـ/ أكتوبر ١١٩١م. ذكر فيها ان مطالبه هي القدس لأنه متعبدهم فلا يستطيعون النزول منه ولو لم يبق منهم واحد، ثم الصليب يعد عند المسلمين خشبة لا قيمة له، إلا أنه عندهم شيء عظيم، وطلب من صلاح الدين ان يعيد إليهم ما هو قاطع نهر الأردن من البلاد. فرد عليه صلاح الدين بقوله: «القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور ان نتنازل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، أما البلاد فهي لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت، واما الصليب فهلاكه قربة عظيمة، ولا يجوز ان نفرط فيه إلا لمصلحة راجحة إلى الإسلام هي أوفى منها»[٢٠٠].

وأن ريتشارد رأى نفسه مضطراً إلى العودة السريعة إلى بلاده بسبب ظهور القلاقل بها، فضلاً عن فشله في تحقيق أي شيء من أهدافه، بالاضافة إلى ما أحرزه صلاح الدين من انتصارات على الصليبيين لعل أهمها استيلاءه على يافا في ٢٠ رجب ٥٨٨هـ/١١٩٢م، تلك التي أثر الاستيلاء عليها تأثيراً بالغاً على الصليبيين[٢٠١].

الأمر الذي كان له أثره على ريتشارد الذي اشتد به المرض في ذلك الوقت، كانت رسله تتردد على صلاح الدين في طلب الفاكهة والثلج كما أوقعه مرضه في شهوة الكمثري والخوخ، وكان صلاح الدين بتسامحه يمده بذلك[٢٠٢] فبعث ريتشارد إلى صلاح الدين يتوسل إليه: ان يختار أحد أمرين إما ان ينزل له عن عسقلان واما ان يعطيه عوضاً عن خسارته في عمارته، الا ان صلاح الدين رفض ذلك الطلب، لذلك لم يجد ريتشارد- الذي كانت حالته قد ازدادت سوءاً- بدأ من التنازل عن عسقلان وعن العوض عنها واستقرت القاعدة بين المسلمين والصليبيين على ان تكون عسقلان خراباً وان يكون للصليبيين يافا وعملها- باستثناء الرملة واللد ومجداليا وكذلك قيسارية وعملها وارسرف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها، ما عدا الناصرة وصفورية- وتكون بلاد اللد والرملة مناصفة بين الطرفين. واشترط صلاح الدين دخول بلاد الباطنية، واشترطوا هم دخول صاحب إنطاكية وطرابلس وحلف الطرفان على ذلك في ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ/سبتمبر ١١٩٢م[٢٠٣]، على تلك الهدنة ثلاث سنين وثلاثة أشهر[٢٠٤]، ولما انفصل أمر الهدنة أذن صلاح الدين للصليبيين بزيارة بيت المقدس[٢٠٥] إلى يافا في طلب التجارة، واختلط عسكر المسلمين بمعسكر الصليبيين، وذهبت جماعة من المسلمين إلى يافا في طلب التجارة كما

وصل خلق كثير من الصليبيين إلى القدس للحج، وأنفذ صلاح الدين الخفراء يحفظونهم وغرضه من ذلك ان يقضوا وطرهم من الزيارة ويرجعون إلى بلادهم(٢٠٦).

وعلى كلٍ فإنه يمكن القول أنه بانعقاد صلح الرملة تحقق فشل الحملة الصليبية الثالثة التي عجزت عن تحقيق أهدافها. هذا بالإضافة إلى ان ذلك الصلح يعد بلا شك نصراً مؤزراً للمسلمين فإلى جانب نجاح صلاح الدين في منع الحملة الصليبية الثالثة من استعادة بيت المقدس ومدن فلسطين فإنه تمكن أيضاً من إلحاق خسائر فادحة بتلك الجموع الصليبية التي جاءت من الغرب الأوربي بهدف استرجاع بيت المقدس وهكذا طهر الله تعالى على يدي صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، وجعل كلمته هي العليا، واسترد البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

## الخاتمة

ومن خلال بحثي هذا تمخضت نتائج هذا البحث إلى أهم النتائج الآتية:

١. بحمد الله وتوفيقه فقد انتهى موضوع البحث الذي تناول دراسة شاملة لموضوع صلاح الدين والصليبيين. وقد رأينا في هذه الدراسة ان صلاح الدين قد نشأ في فترة تاريخية مهمة مر بها العالم الإسلامي وهي عصر الجهاد ضد العدوان الصليبي، لذلك فان صلاح الدين نشأ منذُ بداية حياته في وسط جهادي، بدأه رجال مسلمون مجاهدون على رأسهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ولا شك فإن صلاح الدين الذي خرج إلى مصر في ركاب عمه أسد الدين شيركو الذي كان من ألمع قادة نور الدين محمود– قد تعلم من السلطان نور الدين محمود نفسه وكذلك من عمه أسد الدين شيركو ان إحياء فكره الجهاد الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين تحت راية واحدة هما الأساس الأول لقهر أعداء الإسلام والقضاء على الوجود الصليبي في الشرق الإسلامي.

٢. وقد تأكد صلاح الدين منذ بداية حكمه أنه لن يتم القضاء على ذلك العدوان الصليبي الا بتكوين جبهة إسلامية موحدة تمتد من الفرات إلى النيل لذلك بدأ صلاح الدين بالقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر وكانت هذه الخلافة قد وصلت إلى حد كبير

من الضعف والانهيار بسبب استبداد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء، وتصارعهم على الفوز بمنصب الوزارة الذي أصبح في ذلك الوقت من نصيب الغالب يضاف إلى ذلك فتن الجند وسوء الأحوال الاقتصادية نتيجة انتشار الأوبئة والمجاعات داخل تلك الدولة.

٣. وبقضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر واعادة الديار المصرية إلى حظيرة الخلافة العباسية السنية في بغداد في سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م)، حقق صلاح الدين للعالم الإسلامي وحدته المذهبية، ووضع الوجود الصليبي الذي كان يسيطر على أجزاء من بلاد الشام بين شقي رحى، وقضى على كل أحلامهم التوسعية، وكانت بداية النهاية للوجود الصليبي في بلاد الشام.

٤. وإلى جانب ذلك فقد أثبتت الدراسة جدوى نظام الإقطاع الحربي الذي أدخله صلاح الدين إلى مصر للصرف على جيشه بمختلف عناصره، حيث وزع صلاح الدين أراضي مصر والشام على شكل اقطعات بين أهله وأمراءه وقادة جيشه، ومقابل التزامات حربية وخدمات مدنية يؤديها المقطع وضمن صلاح الدين بهذا النظام حصوله وقت الحرب على جيش منظم مزود بكافة متطلبات القتال فكانت جيوش الأمراء تأتي مزودة بالأسلحة والمؤن والعتاد يتقدمها الأمير المقطع فشارك مع صلاح الدين معاركه ضد الصليبيين، على ان تعود اقطاعاتها بعد انتهاء المعارك. ولا شك ان صلاح الدين بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل نظام الإقطاع الحربي وأثره على التنظيمات الحربية لجيشه، استطاع ان يحقق تلك الانتصارات الرائعة ضد الصليبيين حتى استرد بيت المقدس بفضل الله تعالى عليه.

٥. وعند دراسة موضوع استرداد صلاح الدين بيت المقدس اتضح مدى ما الحقته معركة حطين من خسائر مادية ومعنوية بالصليبيين حتى أصبحوا في وضع يرثى له وظهر أثر ذلك بوضوح عندما اتجه صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس. فما ان شاهد الصليبيون جيوشه تقتحم أسوار المدينة حتى نادوا بطلب الأمان، والسماح لهم بالخروج من بيت المقدس مقابل تسليمه. ونرى ذلك الفرق الشاسع بين هذا السلوك الإسلامي الذي تميز بالتسامح والشهامة والمروءة، وبين ذلك السلوك الصليبي

المسيحي عندما خاض الصليبيون بإقدامهم في دماء المسلمين عند استيلائهم على بيت المقدس، سنة ٤٩١هـ.

٦. وألفت الدراسة الأضواء على حوادث الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت إلى بلاد الشام بعددها وعتادها يتقدمها أعظم ملوك وأباطرة أوربا، وأثبتت الدراسة ان استرداد صلاح الدين لبيت المقدس من الصليبيين قد ترتب عليه آثار وأصداء كثيرة في الغرب الأوروبي الذي سارع بإرسال حملة صليبية ثالثة تولت البابوية الاعداد لها، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل وعجزها في تحقيق أهدافها للخلافات التي حدثت بين قادة الصليبيين فيما بينهم لأحقاد بسبب العداء التقليدي المتأصل بينهم.

٧. وصلاح الدين وضع الأسس الصحيحة لمن اتى بعده من سلاطين المسلمين الذين ساروا على نهجه فاخلصوا النية لله تعالى وجاهدوا في سبيله حق جهاد، وتم طرد الصليبيين من بلاد الشام نهائياً سنة (٦٩٠هـ/١٢١١م)، ويبقى تاريخ صلاح الدين تاريخ الجهاد الخالد أبد الدهر لأنه هو الذي استرد بيت المقدس أول القبلتين وثالث من تشد إليه الرحال ومسرى الرسول ﷺ.

هذا وأسال الله تعالى ان يجعل خير أعمالنا خواتمها وان يتقبلها وتكون خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## الهوامش

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٢٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط (القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٥، ص٢١.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٢، دار القلم، (٢٠٠٩)، ص٩٥.

(٣) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٢٠.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ١٢ جزء، (بيروت، ١٩٦٦م)، ص١٥٧.

(٥) عبد الله علوان، صلاح الدين، دار السلام، مصر، ص٢١.

(٦) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمعايش اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ص٦.

(٧) ابن تغردي بردي، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، ١٩٣٥م)، ج٦، ص١٧.

(٨) ابن الأثير، شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٥٦هـ/١٢٦٦م)، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ج١١، ص٣٤١.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (ليدن، ١٨٧٦م)، ج١١، ص٤٤.

(١٠) هو الفقيه ابو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد الهكاري، من كبار رجال الدولة الصلاحية ونسبه الشريف ينتهي إلى سيدنا الحسن بن علي بن ابي طالب، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤٧٩.

(١١) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج١١، ص٣٤٤.

(١٢) ابن واصل التاريخ العالي ص١٩٥.

(١٣) ابن شداد، النوارد السلطانية، ص١٤١.

(١٤) مؤتمن الخلافة هو خصي متحكم في القصر قيل أن اسمه جوهر، أبو شامة، الروضتين ص٤٥.

(١٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣١٦؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الخطط، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة، ١٩٥٦م)، ج١، ص٣٥٩؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ج١، ص٥.

(١٦) المقريزي، الخطط، ص٣٥٨؛ السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، (بلا)، ج٧، ص٣٤١؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن محمد شماع، (البصرة، ١٩٦٧م)، ج١، ص١٦١.

(١٧) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٦٩.

[١٨] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٦٩؛ ابن واصل، جمال الدين محمد سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، (القاهرة، ١٩٧٢م)، ج١، ص٢٠١.

[١٩] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٧١؛ المقريزي، السلوك ج١، ص١٧.

[٢٠] عمارة اليمني: هو الفقيه ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي الحكيمي اليمني الملقب نجم الدين والشاعر المشهور كان فقيهاً شافعي المذهب، له كتاب في تاريخ اليمن (ت ٥٦٩هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤٣١-٤٣٥.

[٢١] أبو شامة، الروضتين ص٥٦١؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين المظفر يوسف بن قز (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان بتاريخ الاعيان، (حيدرآباد، ١٩٥١م)، ص٣٠٤.

[٢٢] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤١٤؛ ابن قاضي شهبة، بدر الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، (بيروت، ١٩٧١م)، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٢٣] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٦٩؛ ابو شامة، الروضتين، ج١، ص٤٠.

[٢٤] السعداوي، خضير حسان، التاريخ الحربي المصري في عصر صلاح الدين، (القاهرة، ١٩٧٧م)، ج١، ص٥١.

[٢٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٧٠.

[٢٦] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٠٢.

[٢٧] ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٤٧؛ ابن الاثير، الكامل ج١١، ص٤٠٢.

[٢٨] ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٠١؛ زبدة الحلب، ج٣، ص١١.

[٢٩] البهاء، العريني، السيد الباز، الشرق الادنى في العصور الوسطى، (بيروت، ١٩٧٦م)، ص٤٧.

[٣٠] ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٥٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٤١٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٥.

[٣١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج٨ ص٣٠٤.

[٣٢] ابن واصل، مفرج الكروب ج٢ ص١٨.

(٣٣) ابو شامة، الروضتين ج، ص٦٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٥؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٣٦٢.

(٣٤) ابن واصل، مفروج الكروب، ج٢، ص٢١.

(٣٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٢٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١.

(٣٦) أبو شامة، الروضتين، ص٦٠٧.

(٣٧) ابن الأثير، الكامل ج١١، ص٤١٨.

(٣٨) ابن الأثير، الكمال، ج١١، ص٤١٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٨؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، (القاهرة، ١٩٧٦م)، ص٤١.

(٣٩) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، (مصر، بلا)، ج٤، ص٣٦٠.

(٤٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٩.

(٤١) ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٣٢٥.

(٤٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ج١، ص٩٧.

(٤٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٩٤.

(٤٥) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص٣٨١.

(٤٦) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠١.

(٤٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩.

(٤٨) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٩م)، مختار الصحاح في صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، (القاهرة ١٩٣٤م)، ص١٧١.

(٤٩) الماوردي، علي بن محمد حبيب البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت (٢٠٠٣م)، ص٢٢٠.

(٥٠) عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضري (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: يحيى مراد، مؤسسة المختار، مصر (٢٠٠٨م)، ص٣٠٣.

(٥١) عمر، فاروق، وآخرون، النظم الاسلامية دراسة تاريخية، منشورات دار الحكمة، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧م).

(٥٢) ربيع، حسنين محمد، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، طبعة القاهرة، (١٩٦٤م)، ص٦٣.

(٥٣) ربيع، النظم المالية، ص٦٣-٦٤.

(٥٤) السلوك، ج١، ص٧٥.

(٥٥) ابن مماتي، الاسعد (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية (القاهرة، ١٩٤٣م)، ص٢٩٨.

(٥٦) النويري، شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة (١٩٣١م)، ج٨، ص٢٩٩.

(٥٧) حسين، د.محسن محمد، الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين، ط١، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٦م)، ص١٤٣.

(٥٨) الطرطوس، مرضي بن علي، تبصرة ارباح الألباب، تحقيق: كلود كاهن، (دمشق، بلا)، ص٢٣-٢٤، سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص٢٢٥.

(٥٩) سعداوي، المصدر نفسه، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٦٠) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص١٠٩-١١٠.

(٦١) حسين، الجيش الأيوبي، ص٢٦٤.

(٦٢) الطرطوسي، تبصرة أرباب الأرباب، ص١٠.

(٦٣) الطرطوسي، تبصرة أرباب الأرباب، ص١٧.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٨-١٩.

(٦٥) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص٢١١.

(٦٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٥٠-١٥٢؛ سعداوي، جيش مصر، ص٤٤-٤٥.

(٦٧) هو الطبل، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٤٦١.

(٦٨) الاصفهاني، ابوعبد الله محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٤٨٨.

(٦٩) السعداوي، جيش مصر، ص٤٥.

(٧٠) هو المؤرخ بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع ، لازم صلاح الدين في حله وترحاله، وكانت وفاته (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)؛ ينظر: مقدمة النجوم الزاهرة.

(٧١) السعداوي، جيش مصر، ص٣٢.

(٧٢) العماد الاصفهاني، الفتح، ص٦٢.

(٧٣) ابو شامة، الروضتين، ج، ص٧٦.

(٧٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٧.

(٧٥) مفرج الكروب، ج٢، ص١٠٧.

(٧٦) أبو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٨٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٧.

(٧٧) وهو جزء من حديث «خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة الاف ولا يغلب اثنا عشر الف من قلة». أبو داود، باب الجهاد، السنن، رقم الحديث ١٦١١.

(٧٨) أبو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٢؛ ابن خلكان، شمس الدين احمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، ١٩٧٢م)، ج٧، ص١٧٤.

(٧٩) أبو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٦.

(٨٠) الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص٨٤.

(٨١) العماد، الفتح، ص٧٤؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٦.

(٨٢) الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص٨٤.

(٨٣) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٠٦.

(٨٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٩٩.

(٨٥) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٤٠٨.

(٨٦) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٦.

(٨٧) الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص٨٧.

(٨٨) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٨٩) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٦، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣١-٣٢.

(٩٠) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٣؛ ويلاحظ ان العماد وابن واصل، قد ذكرا رأياً مخالف لذلك، حيث ذكر ان ريموند عندما علم باستيلاء، صلاح الدين على طبرية جن جنونه وطالب الصليبيين بالمسير إلى طبرية، وانقاذها من المسلمين، وأنه بسقوطها تسقط البلاد كلها (انظر العماد، الفتح، ص٧٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٨١، انظر سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٠٥ حاشية.

(٩١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٣.

(٩٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٠٦.

(٩٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٣.

(٩٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٠٦.

(٩٥) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٦.

(٩٦) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٤، ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٦، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٠٦-٨٠٧.

(٩٧) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٨١، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٩.

(٩٨) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٥.

(٩٩) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٣٥.

(١٠٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٦.

(١٠١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٥؛ العماد، الفتح، ص٧٩.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٣٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٧٧، ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٨؛ وابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩.

(١٠٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٥-٥٣٦.

(١٠٤) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٨.

(١٠٥) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٦؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٨.

(١٠٦) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٦.

(١٠٧) الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص٩٨.

(١٠٨) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٧؛ العماد، الفتح، ص١٩٦-١٩٧.

(١٠٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٤.

(١١٠) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥؛ أنظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٩٣-٣٩٤.

(١١١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٨-٧٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٥.

(١١٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٧.

(١١٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٥.

(١١٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٦.

(١١٥) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٧٩؛ يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل، ج١١، ص٥٣٨ ان ذلك لأنهم «اشد شوكة من جميع الفرنج».

(١١٦) السعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٨٦؛ جيش، مصر، ص٦٢.

(١١٧) ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٥.

(١١٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٩٤، والقاضي ابن عصرون هو القاضي ابو سعد عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن علي بن أبي عصرون الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين، تولى القضاء بسنجار ونصيبين وطرق وغيرهما من ديار بكر ثم إلى دمشق في سنة ٥٧٠هـ، فتولى القضاء بها، توفي سنة ٥٨٥هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٥٣-٥٥.

(١١٩) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٧-٥٣٨.

(١٢٠) نضير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٨٥.

(١٢١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٨.

(١٢٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٣١؛ الأيوبيون والمماليك، ص٦٥-١١٠، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٨٧.

(١٢٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩، ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٨٦.

(١٢٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩-٨٠.

(١٢٥) العماد، الفتح، ص٨٩؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٨٦.

(١٢٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص٩٤؛ وضياء الله عيسى الهكاري هو الفقيه ابو محمد عيسى ابو محمد بن عيسى بن محمد بن احمد بن يوسف ابن القاسم، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ﷺ، كان أحد الأمراء الصلاحية أتصل بأسد الدين شيركوه ثم بابن أخيه صلاح الدين وخدمهما خدمة جليلة، توفي سنة ٥٨٥هـ. انظر ابن خلكان وفيات الاعيان، ج٢، ص٤٩٧.

(١٢٧) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٠، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٥.

(١٢٨) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٠-٥٤١، ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص.

(١٢٩) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٠٥-١٠٦، المقريزي، السلوك، ج١، ص٩٥.

(١٣٠) صرفند قرية من قرى صور على ساحل البحر المتوسط (انظر ياقوت معجم البلدان).

(١٣١) العماد، الفتح، ص١٠٢-١٠٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٠٦.

(١٣٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٢.

(١٣٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٢-٥٤٣.

(١٣٤) ينظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨١٤-٨١٥.

(١٣٥) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٢، العماد، الفتح، ص١٠٨، ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٩٠.

(١٣٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٥.

(١٣٧) المصدران نفسهما.

(١٣٨) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٠، ويبنا بلدة قرب الرملة (ينظر: ياقوت معجم البلدان).

(١٣٩) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨١٧-٨١٨.

(١٤٠) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢٠٩.

(١٤١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٥-٥٤٦.

(١٤٢) ينظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨١٩.

(١٤٣) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٨٧-٨٨، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨١٨.

(١٤٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ط٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦.

(١٤٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٢.

(١٤٦) ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢١٢.

(١٤٧) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج١١، ص٥٣٩-٥٤٣.

(١٤٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٢.

(١٤٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٥٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢٢.

(١٥٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء ابناء الزمان، ج٧، ص١٨٤.

(١٥١) ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٣-٥٤٤.

(١٥٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨١.

(١٥٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٨١-٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٢.

(١٥٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨١.

(١٥٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٢٠.

(١٥٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٣.

(١٥٧) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٨-٥٤٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٤؛ العماد، الفتح، ص١٢٦؛ ابو شامة، الروضتين ج٢، ص٦٥.

(١٥٨) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨١-٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٤٩.

(١٥٩) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٨١-٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٤؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٩٧.

(١٦٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٦.

(١٦١) سعداوي، جيش مصر، ص٦٩.

(١٦٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٨.

(١٦٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٨٣.

(١٦٤) ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٥٥٥-٥٥٦.

(١٦٥) السعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٩٩٠.

(١٦٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٣٦-١٣٧.

(١٦٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٢.

(١٦٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢-٣٣.

(١٦٩) ابو واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٣.

(١٧٠) العماد الأصفهاني، الفتح، ص٣٤٧.

(١٧١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

(١٧٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١١٥؛ ابن واصل، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٣.

(١٧٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٦٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٦٢.

(١٧٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٤٣.

(١٧٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٥٧.

(١٧٦) عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٢٤.

(١٧٧) العماد الاصفهاني، الفتح، ص٤٧٧-٤٧٨.

(١٧٨) ابن الاثير، الكامل، ج١٢، ص٦٩؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٨٣.

(١٧٩) ابن الاثير، الكامل، ج١٢، ص٦٩.

(١٨٠) ينظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٧٥.

(١٨١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٦٧؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٨٢؛ العماد، الفتح، ص٥٤٢.

(١٨٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٩١؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٢، ص٧٣-٧٤.

(١٨٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٧٤؛ ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢١٢.

(١٨٤) ابن شداد، النوادر اسلطانية، ص١٩٢-١٩٣.

(١٨٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٧٥.

(١٨٦) العماد، الفتح، ص٤٩٤.

(١٨٧) ينظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٨٤.

(١٨٨) ينظر: تفصيل ذلك في ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٩٩-٢٠٦-٢٠٧.

(١٨٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٦٤.

(١٩٠) ينظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٨٥.

(١٩١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٠٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨١-٣٨٢؛ ابو شامه، كتاب الروضتين، ج٢، ص١٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٨.

(١٩٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٧٨-٧٩.

(١٩٣) ينظر: عاشور، المعركة الصليبية، ج٢، ص٨٨٦ (حاشية).

(١٩٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٩٩؛ ابو شامه، كتاب الروضتين، ج٢، ص٢٠٢.

(١٩٥) ابن واصل، التاريخ الصالحي، ورقة ٢٠٨ أ.

(١٩٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٢؛ أبو شامة كتاب الورضتين، ج٢، ص٢٠٣.

(١٩٧) ابو شامة كتاب الروضتين، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٩٩.

(١٩٨) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٥١؛ نظير حسان سعداوي، الحرب والاسلام، ص٣٢.

(١٩٩) أبو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص١٨٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٥٥.

(٢٠٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٩٣-١٩٤؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص٤١٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٧٢-٣٧٢.

(٢٠١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٨٤.

(٢٠٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٢.

(٢٠٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٢-٢٣٤؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج٢، ص٢٠٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج ، ص٤٠٤.

(٢٠٤) ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٤.

(٢٠٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٨٦.

(٢٠٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٦.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر.**

**- القرآن الكريم**

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).

- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، ط القاهرة سنة ١٩٦٣م.

- الكامل في التاريخ، ج١١-١٢، ط: ليدن سنة ١٨٧٦م.

٢- ابن إياس (محمد بن احمد الحنفي، ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، القسم الاول، تحقيق: محمد مصطفى، سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٣- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، (ت ٧٩٧هـ/١٣٧٧م).
- رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار)، ط: القاهرة، سنة (١٩٦٤م).
٤- ابن أيبك الدواداري، ابو بكر عبد الله، ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م).
- الدر المطلوب في اخبار بني أيوب، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط القاهرة، سنة (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
٥- ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥-٦، ط: القاهرة، سنة ١٩٣٥.
٦- ابن جبير، محمد بن احمد، (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).
- رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، ط: القاهرة، سنة (١٩٥٥م).
٧- ابن الجوزي البغدادي، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ط: حيدر آباد، سنة (١٣٥٨هـ).
٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ/١٤٢٥م).
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط: القاهرة، سنة (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: يحيى مراد، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٨م)
٩- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، طبعة بيروت، ١٩٧٢م.
١٠- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط: القاهرة، (سنة ١٩٦٤م).
١١- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٧م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، ط: القاهرة، (١٩٣١).
١٢- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م).

- تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن محمد الشماع، ط: البصرة، سنة (١٩٦٧م).
١٣- ابن قاضي شهبه، بدر الدين محمد بن أبي بكر، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، ط: بيروت، سنة (١٩٧١م).
١٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج١٢، ط: بيروت، (١٩٦٦م).
١٥- ابن مماتي، الاسعد بن محاتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
- قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، (القاهرة، ١٩٤٣م).
١٦- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
- مفرج الكروب، في اخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، ط: القاهرة، سنة (١٩٧٢م).
١٧- ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
- تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢، ط: النجف، (١٩٦٩م).
١٨- أبو داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ).
- كتاب السنن.
١٩- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)
- صحيح البخاري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، (بيروت، ١٢٤٨هـ/٢٠٠٧م).
٢٠- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م).
- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي، ط: القاهرة، ١٩٦٢م.
٢١- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)،
- المختصر في أخبار البشر، ط: بيروت.
٢٢- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي، (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م).
- سنا البرق الشامي، تحقيق: رمضان ششن، ط: بيروت، سنة (١٩٧٠م).
٢٣- الذهبي، الحافظ محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- العبر في أخبار من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط: الكويت، سنة (١٩٦٣م).
٢٤- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٣٦٩م).
- مختار الصحاح في صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، ١٩٣٤).
٢٥- الزبيدي، المرتضى.
- ترويج القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، (١٩٦٩م).
٢٦- سبط ابن الجوزي، شمس الدين المظفر يوسف بن قز اوغلي التركي، (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط: حيدر أباد، (١٩٥١م).
٢٧- السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م).
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٨- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).
- تاريخ الخلفاء، ط: القاهرة، سنة (١٩٥٢م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط: القاهرة، سنة (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م).
٢٩- صلاح الدين الصفدي.
- أمراء دمشق في الاسلام، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط: دمشق، سنة (١٩٥٥م).
٣٠- العماد الاصفهاني، ابو عبد الله محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
- البرق الشامي، تحقيق: رمضان ششن، ط: اسطنبول، (١٩٧٩م).
- الفتح القسي في الفتح القدس، تحقيق: محمد محمود صبح، ط: القاهرة، سنة (١٩٦٥م).
٣١- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، (بيروت، ٢٠٠٣م).

٣٢- القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م).
- صحيح مسلم، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط٢، دار المعرفة (بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٣٣- المقريزي، أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط: القاهرة، سنة (١٩٥٦م).
٣٤- النعيمي، عبد القادر محمد، (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م).
- الدارس في تاريخ المدارس، ط، سنة (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).
٣٥- النويري، شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط: القاهرة، سنة (١٩٣١م).
٣٦- اليافعي، ابو محمد عبد الله بن سعد، (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط: بيروت، سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
٣٧- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- معجم البلدان، ط: بيروت، سنة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

## ثانياً: المراجع.

١- السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ط: بيروت، سنة (١٩٦٧م).
٢- حسين مؤنس، نور الدين محمود، ط٣، (الدار السعودية، ١٩٨٧م).
٣- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ط: القاهرة، سنة (١٩٦٧).
٤- حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ط: القاهرة، سنة (١٩٤٨م).
٥- حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، ط: القاهرة، سنة (١٩٦٤م).
٦- ستيفى ونسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، بيروت، سنة (١٩٦٨م).

٧- سعيد عبد الفتاح عاشور.
- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ط: القاهرة، سنة (١٩٧٦م).
٨- عبد الله علوان، صلاح الدين بطل حطين، دار السلام، مصر.
٩- علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، ط: القاهرة، سنة (١٩٥٢م).
١٠- فاروق عمر فوزي وآخرون، النظم الاسلامية دراسة تاريخية، منشورات دار الحكمة، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧م).
١١- الكيلاني، ماجد عرسان (الدكتور)، صلاح الدين هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٢، (دار القلم، ٢٠٠٩م).
- الناصر صلاح الدين، ط: القاهرة.
١٢- محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ط: القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
١٣- نظير حسان سعداوي:
- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، ط: القاهرة، سنة (١٩٧٧م).
- جيش مصر في أيام صلاح الدين، ط: القاهرة، سنة (١٩٥٩م).
- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ط: القاهرة، سنة (١٩٦٢م).